مغامرة المقبرة الفرعونية

من وجهة نظري، أعتبر المغامرة المثيرة التي اشتركت فيها مع بوارو بشأن التحقيق في سلسلة غريبة من الأحداث التي انتهت بموت مجموعة من الأشخاص في أعقاب اكتشاف وفتح مقبرة الملك منقرع، من أكثر المغامرات التي أتيح لي أن أشارك فيها بوارو إثارة ومتعة.

لم يكد يمضي وقت طويل على اكتشاف لورد كارنافون لمقبرة توت عنخ آمون، حتى بدأ السير جون ويلارد والمستر بلينر من نيويورك في التنقيب عن الآثار في منطقة أهرامات الجيزة، غير بعيد عن القاهرة. وأدت أعمالهما فجأة إلى العثور على مجموعة من غرف الدفن.

وأثار الكشف الجديد اهتماماً كبيراً، فقد اتضح أن المقبرة التي تم الكشف عنها هي مقبرة الملك منقرع، واحد من أولئك الملوك العظام الذين ينتمون للأسرة الثامنة، في الوقت الذي كان نجم المملكة القديمة قد بدأ يأفل، ولم يكن يعرف عن هذه الفترة الشيء الكثير من المعلومات، ومن ثم فقد كان

للكشف الجديد دوي عالمي ضخم، ونشرت أنباؤه في جميع صحف العالم.

وسرعان ما وقع حادث كان له تأثير عنيف على الرأي العام العالمي، فلم يكد يمضي وقت طويل على الكشف عن المقبرة حتى مات السير جون ويلارد فجأة نتيجة هبوط في القلب.

وانتهزت بعض صحف الإثارة الفرصة في الحال، لكي تقوم بإحياء الخرافة القديمة التي تتعلق باللعنة التي تصاحب الكشف عن الكنوز المصرية القديمة، وأشارت الصحف إلى قصة المأساة التي ترتبط بالمومياء المحفوظة في المتحف البريطاني والتي كذبها رجال المتحف في ذلك الحين، ولكنها عادت تقفز إلى السطح من جديد في أعقاب الموت المفاجىء للسير جون ويلارد بعد الكشف عن المقبرة الجديدة.

وقد وقع حادث آخر بعد أسبوعين، فقد مات المستر بلينر من تسمم حاد في الدم. وبعد بضعة أيام من وفاته.. أطلق ابن أخيه النار على نفسه في نيويورك، وأصبح الحديث عن لعنة.. منقرع.. دائراً على كل لسان، واستغلت الصحف موضوع قوى السحر الغامض التي ترتبط بالموتى في مصر القديمة إلى أبعد الحدود..

تلقى بوارو في تلك الفترة رسالة مقتضبة من الليدي ويلارد - أرملة عالم الآثار - تطلب منه أن يزورها في بيتها في ميدان كنسنجتون، وصحبت بوارو في هذه الزيارة.

كانت الليدي ويلارد سيدة طويلة نحيلة ترتدي ثياب الحداد، وكان وجهها الشاحب يعكس آثار الأسى العميق.

وقالت الليدي ويلارد عند رؤيتنا:

- إنه لكرم شديد منك يا مسيو بوارو، أن تلبي دعوتي بهذه السرعة..

وقال بوارو:

- إنني في خدمتك يا ليدي ويلارد.. لا شك أنك أردت استشارتي في قضية معينة؟

- إنني أعلم أنك مخبر خاص، ولكنني لا أريد أن أستشيرك باعتبارك مخبراً فحسب، وإنما باعتبارك رجل مبادىء.. وأنا أعرف أن لديك الخيال والتجربة.. قل لي يا مسيو بوارو.. ما هي آراؤك بالنسبة للأمور الخارقة للطبيعة؟

تردد بوارو برهة قبل أن يجيب وبدا عليه أنه يفكر تفكيراً عميقاً ثم قال في النهاية:

- يجب ألا يسيء أحدنا فهم الآخر يا ليدي ويلارد، ليس السؤال الذي توجهينه إلي سؤالاً عاماً، وإنما يبدو أنه يعني تجربة خاصة، أليس كذلك؟ ولعلك تشيرين بطريقة خفية إلى موت زوجك!

وأجابت الأرملة بهدوء:

ـ نعم.. ما تقوله صحيح

ـ هل تريدين مني أن أحقق في الظروف التي أدت إلى الموت!

ـ أريد منك أن تؤكد لي تماماً إلى أي مدى تصدق الأخبار التي تنشر في الصحف، وإلى أي مدى يمكن التثبت من الحقائق التي تقال.. لقد حدثت ثلاث وفيات يا مسيو بوارو، وقد نجد تفسيراً مقبولاً لكل حالة على حدة، ولكننا إذا ربطنا بين الوفيات الثلاث، فمن الصعب أن نسلم بأن الأمر مجرد مصادفة.. خاصة وأن الوفيات كلها وقعت في خلال شهر واحد بعد فتح المقبرة!

ربما كان الأمر مجرد خرافة.. ربما كان لعنة من الماضي تعمل بطرق لا يستطيع العلم الحديث أن يجد لها تفسيراً واضحاً، ولكن الحقيقة تظل قائمة.

ـ ثلاث وفيات! إنني خائفة يا مسيو بوارو.. أشعر برعب قاتل، وأخشى ألا تقف الأمور عند هذا الحد.

ـ على من تخافين يا ليدي ويلارد؟

ـ على ابني.. عندما وصلتنا أنباء وفاة زوجي كنت مريضة، وسافر ابني إلى مصر، وكان قد عاد منذ قليل من أكسفورد، وأحضر الجثة إلى أرض الوطن، ولكنه بالرغم من صلواتي وتوسلاتي يصر على العودة إلى مصر.. لقد سحره العمل الذي كان يقوم به والده، ويصر على أن يستأنف الحفريات.. ربما خيل إليك يا مسيو بوارو أنني سيدة حمقاء، ولكنني خائفة.. فلنفترض أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد؟ ربما بدا لك أن ما أقوله لا يعدو أن يكون تخريفاً.

وقال بوارو على الفور:

ـ في الواقع كلا يا ليدي ويلارد، أنا أيضاً أؤمن بقوة الخرافة، فهي واحدة من أعظم القوى التي عرفها العالم.

نظرت إلى بوارو بدهشة بالغة، غير مصدق ما يقوله، لم أكن أصدق قط أن بوارو يؤمن بالخرافات، ولكن بدا لي بوضوح أن الرجل الصغير الحجم يتحدث بجد، واستأنف بوارو حديثه قائلاً:

ـ إذن فأنت تطلبين مني أن أعمل على حماية ابنك؟ سوف أبذل أقصى ما في وسعي لأجنبه أي مكروه..

ـ نعم.. هذا ينطبق على الأمور العادية، ولكن ماذا نفعل أمام تأثير السحر؟

ـ سوف تجدين يا ليدي ويلارد في المجلدات التي تتحدث عن العصور الوسطى، الكثير من الأساليب التي تتبع للقضاء على السحر الأسود، وربما كان رجال العصور الوسطى يعرفون الشيء الكثير مما لا يحيط به العلم في أيامنا هذه رغم ما يدعيه العلم من تحقيق للمعجزات.. والآن فلنواجه الحقائق، لعلها تكون مرشداً لي.. كان زوجك مغرماً بالآثار المصرية القديمة، أليس كذلك؟

ـ نعم. . منذ مطلع شبابه إلى أن مات. . وكان يعتبر واحداً من أهم المصادر الحية التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع.

ـ ولكن المستر بلينر كان على ما أعلم مجرد هاوٍ؟

ـ أوه. . تماماً. . كان رجلاً بالغ الثراء يشارك في أي مشروع يروقه. وقد استطاع زوجي أن يحرك فيه الاهتمام بالمصريات، وأصبحت ثروته هي المصدر الرئيسي لتمويل مشروع بعثة التنقيب.

ـ وماذا بشأن ابن أخيه؟ ما الذي تعرفينه عن ميوله؟ وهل كان يشترك مع البعثة في أعمالها؟

ـ لا أظن. . أنا في الواقع لم أسمع بوجوده، حتى ظهرت أنباء موته في الصحف، ولا أظن أنه كان على علاقة طيبة بالمستر بلينر، لأن المستر بلينر لم يتحدث عن وجود أقارب له من قبل.

وسأل بوارو:

ـ من هم أعضاء البعثة الآخرون؟

ـ حسن. . تضم البعثة الدكتور توسويل وهو موظف بالمتحف البريطاني، والمستر شنيدر من متحف المتروبوليتان في نيويورك، وشاب صغير يقوم بأعمال السكرتارية للبعثة، والدكتور أميس الذي يرافق البعثة في مجال تخصصه كطبيب، ويجيء في النهاية حسان، وهو مصري كان يعمل خادماً خاصاً لزوجي.

ـ هل تذكرين اسم الشاب الأمريكي، الذي يقوم بأعمال سكرتارية البعثة؟

وقالت الليدي ويلارد بعد قليل من التفكير:

ـ هاربر على ما أعتقد، وإن لم أكن واثقة من الاسم. . والذي أعرفه أن الشاب لم يعمل فترة طويلة مع المستر بلينر، إلا أنه شاب مرح موفور النشاط.

ـ شكراً لك يا ليدي ويلارد.

وقالت الليدي ويلارد:

ـ إذا كانت لديك أسئلة أخرى. .

ـ ليس لدي أسئلة في الوقت الحاضر، وأرجو أن تتركي الأمر بين يدي، وأن تكوني على ثقة من أنني سوف أفعل كل ما في طاقتي البشرية لحماية ابنك.

لم تكن كلمات بوارو في الواقع تثير الطمأنينة في نفس الأرملة. وقد رأيت ذلك بوضوح على وجهها. . إلا أن عدم محاولة بوارو في أن يسخر من مخاوف السيدة كان من بواعث راحتها على الأقل.

أما من جانبي، فلم يسبق لي قط أن ارتبت في أن بوارو يؤمن في أعماق نفسه بالخرافات، ولهذا فقد كان من الواجب

أن أفاتحه في الموضوع، ونحن في طريق العودة، وكان يبدو عليه الجد، عندما أجابني بقوله:

ـ نعم يا هاستنجز.. إني أؤمن بمثل هذه الأشياء، ويجب ألا تقلل من شأن قوة الخرافة.

ـ وما الذي سوف نفعله بشأنها؟

وقال بوارو باسماً:

ـ أنت دائماً الرجل العلمي الطيب يا هاستنجز! حسن.. كنقطة للبداية سوف نرسل برقية إلى نيويورك، لنحصل على معلومات مفصلة عن وفاة المستر بلينر الشاب.

أرسل بوارو البرقية، وجاء الرد بالكامل وفي منتهى الدقة.. كان روبرت بلينر الشاب في حالة فقر مدقع خلال السنوات الأخيرة، وكان يشغل بعض الوظائف الحقيرة في عدد من جزر بحر الجنوب، إلا أنه عاد إلى نيويورك منذ عامين لتزداد أحواله المادية سوءاً على سوء، إلا أن الشيء الملفت للنظر أنه استطاع في الفترة الأخيرة أن يقترض مبلغاً من المال سمح له بالسفر إلى مصر، وقال لمعارفه مبرراً ذلك:

ـ لدي صديق عزيز هناك أستطيع أن أقترض منه ما أحتاج إليه.

ويبدو أن أحلام الشاب تبددت، لأنه سرعان ما عاد إلى نيويورك وهو يسب ويلعن عمه، الذي يعنى بالصرف على عظام الموتى والملوك الغابرين، أكثر مما يعنيه مساعدة أهله من لحمه ودمه. وقد حدثت وفاة عمه والسير جون ويلارد أثناء فترة إقامة الشاب في مصر.

وانغمس الشاب مرة أخرى في حياة الضياع في نيويورك، وفجأة وبدون مقدمات انتحر تاركاً وراءه خطاباً يتضمن بعض العبارات الغريبة، ويبدو أنه كتب خطابه الأخير في لحظة من لحظات يقظة الضمير، وقد أشار إلى نفسه بأنه أبرص ومنبوذ. وختم خطابه قائلاً إن الموت أفضل بالنسبة لأمثاله.

قفزت فكرة غامضة إلى ذهني، ولم أكن قد فكرت قبل ذلك في الواقع في فكرة الانتقام الذي يستطيع أن يحققه ملك من مصر القديمة مات منذ آلاف السنين، وإنما رأيت جريمة من جرائم العصر.

فلنفترض أن هذا الشاب قرر أن يتخلص من عمه ـ وأفضل وسيلة من وجهة نظره هي السم. ويحدث خطأ غير مقصود عندما يتناول السير جون ويلارد الجرعة القاتلة بدلاً من مستر بلينر، ويعود الشاب إلى نيويورك وشبح الجريمة التي ارتكبها يطارده، وتصله أنباء موت عمه، ويدرك أن تفكيره في الجريمة لم يكن ضرورياً بالمرة، وعندما بدأ ضميره يؤرقه انتحر ليضع حداً لآلامه.

عرضت النظرية التي توصلت إليها على بوارو، وصادفت الفكرة اهتماماً لديه وقال:

- إنها فكرة عبقرية تلك التي وصلت إليها ولا شك.. من المؤكد أنها عبقرية.. ربما كان هذا هو ما حدث بالفعل، ولكنك تخرج من حسابك كل تأثير للمقبرة.

هززت كتفي في ازدراء وأنا أقول:

- أما زلت تعتقد أن لعنة الفراعنة لها دخل في الموضوع؟

إلى حد كبير يا صديقي العزيز.. إلى الحد الذي يدفعني إلى أن أخبرك أننا سنبدأ رحلتنا إلى مصر في الغد!

وقلت بدهشة بالغة:

- ماذا تقول؟

وقال بوارو وهو يضع على وجهه ملامح البطولة:

- لقد قلت كلمتي!

وسرعان ما تغير وجهه ثم قال في أسى:

- ولكن يا إلهي.. رحلة البحر.. رحلة البحر البغيضة!

* * *

بعد أسبوع كانت أقدامنا تغوص في الرمال الذهبية لصحراء مصر، وأشعة الشمس الساخنة تلهب رؤوسنا، وكان بوارو صورة للتعاسة بجانبي، فلم يكن الرجل الصغير الحجم من هواة الرحلات، وكانت رحلة الأربعة أيام من مرسيليا إلى الإسكندرية بمثابة دهر من العذاب بالنسبة لبوارو، وبمجرد أن لمست قدماه أرض الإسكندرية عاد إلى سابق عهده من الحيوية والنشاط.

وعلى العكس من بوارو، استولى علي سحر مصر، في حين ارتدى بوارو نفس الملابس التي يرتديها في لندن، وحمل في جيبه قطعة صغيرة من القماش ليشهر حربا لا تفتر ضد جيوش الغبار الذي كان يتراكم على آلة التصوير السوداء التي يحملها.

وقال بوارو متبرماً:

- وحذائي يا هاستنجز.. أنظر إلى حذائي المصنوع من الجلد اللامع، وكيف كان يبدو وجيها براقاً على الدوام.. هل ترى الرمال التي تسربت إليه.. هذا شيء مؤلم إنه يثير أعصابي. وكذلك الحرارة إنها تسبب الجفاف لشاربي!

وقلت له في محاولة للتخفيف عنه:

- أنظر إلى أبي الهول.. حتى أنا أستطيع أن أحس بالسحر والغموض الذي يعكسه..

نظر بوارو إلى التمثال في ضيق وهو يقول:

- حتى التمثال لا تبدو عليه السعادة، وكيف يشعر بالسعادة ونصفه مدفون تحت الرمال بهذه الطريقة غير المنتظمة.. آه.. تلك الرمال الملعونة!

وقلت له:

- لعلك نسيت أن في بلجيكا أيضاً تلالاً من الرمال.

وكنت قد تذكرت في تلك اللحظة رحلة قمنا بها سوياً إلى بلجيكا، فقال بوارو:

ـ أليس في بروكسل. .

* * *

أطال بوارو النظر إلى الأهرامات وهو مستغرق في التفكير، ثم قال بعد فترة:

ـ صحيح أنها تتخذ شكلاً هندسياً صلباً، ولكن سفوحها غير مستوية وشكلها لا يسر العين، كما أن أشجار النخيل التي تحيط بالمكان لا تسرني حتى ولو كانت منسقة في صفوف!

قطعت عليه حبل الشكوى، مقترحاً أن نذهب إلى مقر البعثة. وكان علينا أن نقطع الرحلة راكبين الجمال، وظلت الحيوانات راكعة في صبر تنتظر حتى نركب فوق ظهورها في حراسة عدد من الصبية يرأسهم أحد التراجمة، ومررت بسرعة على منظر بوارو وهو جالس فوق ظهر الجمل، فقد بدأ الرحلة بالأنين والشكوى المستمرة، وختمها بالصراخ والصياح مستنجداً بالسيدة العذراء وكل القديسين الذين تعيهم ذاكرته. . ثم أصر على النزول ليكمل بقية الرحلة على ظهر حمار صغير. ويجب أن أعترف أن الركوب على ظهر جمل يجري في الصحراء ليس مزاحاً بالنسبة للهواة من أمثالي، وقد ظل جسمي متصلباً لبضعة أيام، ووصلنا في النهاية إلى الموقع الذي تنقب فيه البعثة عن الآثار، وقابلنا رجل ذو لحية رمادية، صبغت الشمس وجهه بلون البرونز، يلبس ثياباً بيضاء، ويضع خوذة على رأسه، وقال الرجل:

ـ مسيو بوارو والكابتن هاستنجز؟ لقد تلقينا برقيتكم، وأعبر لكم عن بالغ الأسف، لأننا لم نستطع أن نوفد لكم واحداً من رجالنا ليستقبلكم عند وصولكم إلى القاهرة، فقد وقع حادث غير منتظر قلب كل خططنا رأساً على عقب.

شحب وجه بوارو، وتجمدت اليد التي كانت في طريقها إلى الجيب لتبحث عن قطعة القماش، وقال في قلق شديد:

ـ هل حدثت وفاة جديدة؟

ـ نعم.

وصحت بانفعال:

ـ أهو السير جاي ويلارد؟

ـ كلا يا كابتن هاستنجز. . إنه زميلي المواطن الأمريكي المستر شنايدر.

وسأل بوارو: وما هي أسباب الوفاة؟

ـ التيتانوس.

تجمدت في مكاني من الرعب وقد شلت المفاجأة تفكيري، وخيل إلي أن كل ما حولي يعطي شعوراً بالشر والخطر المحدق، ومرت بخاطري فكرة رهيبة، فلنفترض أنني كنت الضحية التالية؟

وقال بوارو بصوت خافت للغاية:

ـ يا إلهي. . إنني لا أفهم هذا الذي يحدث. . هذا مريع!

قل لي بربك يا سيدي، هل أنت واثق من أن التيتانوس هو السبب الحقيقي للوفاة؟

- أنا لا أعتقد ذلك، ولكن الدكتور أميس سوف يخبرك بالمزيد من التفاصيل.

- آه.. إذن فلست الطبيب بالطبع؟

- اسمي توسويل.

إذن فهذا هو الخبير البريطاني الذي وصفته الليدي ويلارد بأنه موظف رسمي مغمور بالمتحف البريطاني.. داخلني شعور منذ اللحظة الأولى أن هذا الرجل يخفي وراءه سراً رهيباً.

وأردف الدكتور توسويل يقول:

- لو أنكم جئتم معي فسوف أصحبكم إلى السير جاي ويلارد، فقد كان في أشد حالات اللهفة وطلب إخطاره بوصولكم في الحال.

عبرنا معسكر البعثة إلى الجانب الآخر حيث كانت توجد خيمة كبيرة، ورفع الدكتور توسويل الغطاء ودخلنا لنجد ثلاثة رجال، وقال توسويل: المسيو بوارو والكابتن هاستنجز وصلا على التو يا سير جاي.

قفز أصغر الرجال الثلاثة من مقعده وخف لتحيتنا، وكان في تصرفاته شيء من الطيش ذكرنا بأمه، ولم تكن الشمس قد صبغت بشرته كالآخرين، وبالإضافة إلى الدوائر السوداء المحيطة بعينيه، كان يبدو أكبر من عمره الحقيقي بكثير، ولم يكن الشاب قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره، وكان يبدو أنه يعاني من توتر عصبي شديد.

وقدم لنا الشاب زميله، الدكتور أميس وهو في الثلاثين من عمره يبدو عليه الذكاء والحيوية، وقد تسرب الشعر الرمادي إلى سوالفه، والمستر هاربر سكرتير البعثة، وهو شاب مرح يضع على عينيه نظارات ذات إطار ذهبي، وبعد بضع دقائق من الحديث المتفرق انسحب الأخير ثم تبعه الدكتور توسويل، وظللنا وحدنا مع السير جاي والدكتور أميس، وقال ويلارد:

- أرجوك أن توجه ما تشاء من الأسئلة يا مسيو بوارو، إننا في أشد حالات الذهول لسلسلة النكبات الغريبة التي وقعت تباعاً، ولكنها لا يمكن أن تكون سوى مجرد مصادفات.

كان الشاب يتحدث بعصبية، ولاحظت أن بوارو يدرس الشاب بعناية، وقال بوارو:

- هل تقبل على هذا العمل يا سير جاي بحماس حقيقي؟

- نوعاً ما.. لا أهمية لما يحدث أو ينتج عن هذا العمل، فالأمور تسير.. ضع هذا في تقديرك.

التفت بوارو للرجل الآخر قائلاً:

- وما رأيك أنت فيما يحدث يا سيدي الطبيب؟

تكلم الطبيب ببطء قائلاً:

- حسن.. أنا شخصياً ضد الرأي الذي ينادي بتوقف العمل.

عبس وجه بوارو بطريقة معبرة وهو يقول:

- إذن.. فمن الضروري أن نعرف طبيعة الأرض التي نقف عليها.. متى حدثت وفاة المستر شنايدر؟

- منذ ثلاثة أيام.

- هل أنت واثق أنها كانت نتيجة الإصابة بالتيتانوس!

- تمام الثقة.

- ألا يمكن على سبيل المثال أن تكون نتيجة تسمم بالاستركنين؟

- كلا يا مسيو بوارو.. إنني أفهم ما ترمي إليه ولكنها كانت حالة تيتانوس واضحة كل الوضوح.

- ألم تحقن المريض بالمصل المضاد؟

وأجابه الطبيب بجفاف:

- لقد فعلت ذلك بكل تأكيد، وقد بذلت أقصى ما في طاقتي ولم أترك محاولة لإنقاذ حياة المريض دون أن ألجأ إليها.

- هل كان المصل المضاد موجوداً معك؟

- كلا.. طلبنا المصل من القاهرة.

- هل حدثت في المعسكر حالات إصابة أخرى بالتيتانوس؟

- كلا.. مجرد هذه الحالة.

- هل أنت واثق من أن وفاة المستر بلينر لم تكن نتيجة الإصابة بالتيتانوس؟

- متأكد تمام التأكيد، لقد أصيب أصبعه بجرح وتسمم الجرح، ولقد حدث نفس الشيء لواحد من العمال الذين يعملون مع البعثة الآن إلا أن الحالتين مختلفتان تماماً.

- معنى هذا أنه وقعت أربع حالات وفاة، ولكنها مختلفة تمام الاختلاف، حدثت واحدة نتيجة هبوط في القلب، والثانية نتيجة تسمم في الدم، والثالثة انتحار، والأخيرة نتيجة الإصابة بالتيتانوس.

- تماماً يا مسيو بوارو.

- هل أنت واثق من أنه لا يوجد ثمة ارتباط بين تلك الوفيات؟

- إنني لا أفهم ما تعنيه على وجه التحديد.

سوف أضع السؤال في صيغة أبسط.. هل صدر من أي واحد من الأربعة الذين ماتوا ما يشير إلى عدم احترامه لروح منقرع؟

حملق الطبيب في وجه بوارو بدهشة ثم قال:

- إنك تفكر تفكيراً غريباً يا مسيو بوارو، من المؤكد أنك لا

تكلم الطبيب ببطء قائلاً:

ـ حسن.. أنا شخصياً ضد الرأي الذي ينادي بتوقف العمل.

عبس وجه بوارو بطريقة معبرة وهو يقول:

ـ إذن.. فمن الضروري أن نعرف طبيعة الأرض التي نقف عليها.. متى حدثت وفاة المستر شنايدر؟

ـ منذ ثلاثة أيام.

ـ هل أنت واثق أنها كانت نتيجة الإصابة بالتيتانوس!

ـ تمام الثقة.

ـ ألا يمكن على سبيل المثال أن تكون نتيجة تسمم بالاستركنين؟

ـ كلا يا مسيو بوارو.. إنني أفهم ما ترمي إليه ولكنها كانت حالة تيتانوس واضحة كل الوضوح.

ـ ألم تحقن المريض بالمصل المضاد؟

وأجابه الطبيب بجفاف:

ـ لقد فعلت ذلك بكل تأكيد، وقد بذلت أقصى ما في طاقتي ولم أترك محاولة لإنقاذ حياة المريض دون أن ألجأ إليها.

ـ هل كان المصل المضاد موجوداً معك؟

ـ كلا.. طلبنا المصل من القاهرة.

ـ هل حدثت في المعسكر حالات إصابة أخرى بالتيتانوس؟

ـ كلا.. مجرد هذه الحالة.

ـ هل أنت واثق من أن وفاة المستر بلينر لم تكن نتيجة الإصابة بالتيتانوس؟

ـ متأكد تمام التأكيد، لقد أصيب أصبعه بجرح وتسمم الجرح، ولقد حدث نفس الشيء لواحد من العمال الذين يعملون مع البعثة الآن إلا أن الحالتين مختلفتان تماماً.

ـ معنى هذا أنه وقعت أربع حالات وفاة، ولكنها مختلفة تمام الاختلاف، حدثت واحدة نتيجة هبوط في القلب، والثانية نتيجة تسمم في الدم، والثالثة انتحار، والأخيرة نتيجة الإصابة بالتيتانوس.

ـ تماماً يا مسيو بوارو.

ـ هل أنت واثق من أنه لا يوجد ثمة ارتباط بين تلك الوفيات؟

ـ إنني لا أفهم ما تعنيه على وجه التحديد.

سوف أضع السؤال في صيغة أبسط.. هل صدر من أي واحد من الأربعة الذين ماتوا ما يشير إلى عدم احترامه لروح متفرع؟

حملق الطبيب في وجه بوارو بدهشة ثم قال:

ـ إنك تفكر تفكيراً غريباً يا مسيو بوارو، من المؤكد أنك لا

يمكن أن تكون من هؤلاء الذين يصدقون ذلك الهراء الـذي يشاع؟

وتمتم ويلارد بغضب:

ـ هذا مجرد هراء!

ظل بوارو على هدوئه ولم يبد عليه من الانفعال سوى رمشة من عينه الخضراء كعيون القطط، وقال بوارو بمنتهى الهدوء:

ـ إذن فأنت لا تؤمن بذلك يا سيدي الطبيب؟

وقال الطبيب بلهجة التأكيد:

ـ كلا يا سيدي لا أؤمن بتلك الخرافات... إنني رجل علم ولا أؤمن بغير ما يعلمه العلم.

وسأله بوارو برقة:

ـ ألم يكن هنالك علم إذن في مصر القديمة؟

لم ينتظر بوارو حتى يتلقى الإجابة على سؤاله وكان الضيق قد بدا بوضوح على وجه الدكتور أمبس، وأردف بوارو يقول على الفور:

ـ كلا.. كلا لا تجب على سؤالي، ولكن أجب على هذا السؤال.. ما هو رأي العمال الوطنيين؟

أعتقد أن الرجال البيض عندما يفقدون صوابهم، فلا بد أن يكون الوطنيون متخلفين وراءهم بمسافة بعيدة.. وأعترف لك

أنهم بدأوا يشعرون بالرعب ولكن مخاوفهم لا تستند إلى أي أساس.

وقال بوارو ببساطة دون أن يعلق على هذه الملاحظة:

ـ إنني أعجب!

مال السير جاي إلى الأمام وهو يقول:

ـ بالتأكيد لا يمكن أن تعتقد في هـذه الـ... ولكن هذه الأفكار سخيفة إذا كان هذا هو تفكيرك عن مصر القديمة فأنت لا تعرف عنها شيئاً.

ورداً على ذلك، أخرج من جيبه كتاباً صغيراً ـ وكان الكتاب عتيقاً بالياً ـ وبينما كان بوارو يمسك الكتاب بين يديه قرأت العنوان «السحر لدى المصريين والكلدانيين» وغادر بوارو الخيمة، وحملق الطبيب في وجهي وهو يقول:

ـ ماذا يريد أن يقول؟

ـ أعترف أنني لا أفهم وجهة نظره تماماً، وأعتقد أن لديه خطة لطرد الأرواح الشريرة.

خرجت لأبحث عن بوارو، وعثرت عليه وهو يتحدث مع هاربر الشاب النحيل الذي كان يعمل سكرتيراً للمستر بلينر قبل وفاته، وكان المستر هاربر يقول:

ـ كلا.. لم يمض على فترة عملي مع البعثة أكثر من ستة

شهور.. نعم، لقد كنت أعرف أعمال المستر بلينر معرفة جيدة.

- هل تستطيع أن تروي لي أي شيء يتعلق بابن أخيه المدعو روبرت؟

- إنه ظهر هنا فجأة، وكان شاباً حسن المظهر، ولم يسبق لي أن التقيت بالشاب قبل ذلك وإن كان بعض أعضاء البعثة قد التقوا به كالدكتور أميس وشنايدر على ما أظن.. لم يرحب الرجل العجوز بظهور ابن أخيه بالمرة، وكان الشجار يقع بينهما في كل لحظة، وسمعت الرجل العجوز يقول له ذات مرة، لن أعطيك سنتاً واحداً. لا الآن ولا بعد موتي، سوف أترك كل ثروتي لاستئناف العمل الذي كرست له حياتي.. لقد كنت أتحدث اليوم في ذلك مع المستر شنايدر.. ولم يبق روبرت بلينر الشاب بعد ذلك طويلاً وتركنا إلى القاهرة.

- هل كان يتمتع في ذلك الوقت بصحة جيدة؟

- تعني الرجل العجوز؟

- كلا.. أقصد الشاب.

- أعتقد أنه لم يذكر أي شيء عن اعتلال صحته. ولا يمكن أن يكون الشاب فريسة مرض خطير وإلا لكان من السهل عليّ أن أفطن إلى ذلك.

- سؤال آخر. هل ترك المستر بلينر وصية؟

- على ما نعلم لم يترك وصية.

- هل أنت باق مع البعثة يا مستر هاربر؟

- كلا يا سيدي.. ليس في نيتي الاستمرار في العمل مع البعثة.. وسوف أعود إلى نيويورك بمجرد تسوية الأمور هنا، تستطيع أن تسخر مني إذا شئت، ولكنني لا أحب أن أكون الضحية التالية لذلك الملك المخيف منقرع، سوف ينالني حتماً إذا استمريت في البقاء هنا.

مسح الشاب العرق الذي كان يتصبب على حاجبه، وأدار له بوارو ظهره، وقال وهو يبتسم ابتسامة غريبة:

- تذكر أنه نال واحداً من ضحاياه وهو في نيويورك.

وقال المستر هاربر بعصبية:

- أوه.. يا للجحيم!

وقال بوارو وهو يفكر ملياً:

- هذا الشاب متوتر الأعصاب.. إنه على حافة الإنهيار.. على حافة الانهيار تماماً.

رمقت بوارو بدهشة، ولكن ابتسامته الغامضة لم تكشف لي عن شيء، وذهبنا في صحبة السير جاي ويلارد والدكتور توسويل إلى موقع الحفريات، وكانت الاكتشافات الأثرية الجديدة قد نقلت إلى القاهرة، ولكن بعض أثاث المقبرة كان مثيراً للغاية، وكان حماس الشاب النبيل للعمل واضحاً، ولكنني لمست فيه بعض التوتر، وأحسست بأن الشاب لم

يتخلص من كل المخاوف وأنه لا يزال يخشى تهديداً غامضاً يحوم حول المكان.

وبينما كنا نستعد لدخول الخيمة التي خصصت لنا لكي نغتسل قبل التأهب لتناول وجبة العشاء، صادفنا رجل طويل أسمر يرتدي جلباباً أبيض وحيانا باللغة العربية وتوقف بوارو قائلاً:

ـ هل أنت حسان الذي كان يقوم بخدمة السير جون ويلارد قبل وفاته؟

ـ كنت أخدم سيدي السير جون، والآن أنا في خدمة ابنه.

اقترب الرجل خطوة منا وهو يقول بصوت هامس:

ـ لقد سمعتهم يقولون إنك رجل حكيم، وإنك خبير في التعامل مع الأرواح الشريرة.. ساعد السيد الصغير على الرحيل من هنا.. الشر يحوم حولنا في هذا المكان.

ولم ينتظر الرجل رداً على كلامه وانسحب مسرعاً، وتمتم بوارو:

ـ الشر يحوم حول المكان.. نعم.. هذا ما أحس به.

تحدث الدكتور توسويل أثناء العشاء عن الآثار المصرية، وبينما كنا نستعد للانسحاب بعد تناول العشاء، أمسك السير جاي بذراع بوارو، وأشار إلى الخارج: كان هنالك شبح مظلم يتسلل بين الخيام، ولم يكن شبح إنسان.. واستطعت أن أميز بوضوح سجداً يعلوه وجه كلب، وهو المنظر الذي شاهدته قبل ذلك منقوشاً على جدران المقبرة، كاد الدم يتجمد في عروقي من الرعب، وتمتم بوارو في وجل وهو يرسم علامة الصليب على صدره:

ـ يا إلهي! أنوبيس، الذي له رأس ابن آوى.. إله الأرواح الراحلة عند المصريين القدماء!

وصاح الدكتور توسويل وهو يقف على قدميه في غضب:

ـ إن شخصاً ما يحاول إثارة الفزع في قلوبنا.

وتمتم السير جاي وقد امتقع لونه بشكل واضح:

ـ لقد ذهب إلى خيمتك يا هاربر..

ـ كلا.. إنه يتجه إلى خيمة الدكتور أميس.

حملق الطبيب في وجهه بدهشة، ثم كرر كلمات الدكتور توسويل وصاح بانفعال:

ـ يحاول بعضهم أن يسخر منا.. هيا بنا نمسك بذلك الشخص.

اندفع الطبيب إلى الخارج في محاولة للإمساك بالشبح، وانطلقت وراءه، ورغم البحث الجاد في كل مكان من المعسكر لم نعثر على شيء، وعدنا أشد قلقا لنجد بوارو جالساً في مكانه يتخذ الاحتياطات اللازمة لحماية نفسه شخصياً، كان يتمتم بكلمات غامضة ويدور حول الخيمة التي

خصصت لنا وهو يرسم على الرمال أشكالاً ورسوماً غامضة، وكان يتحدث في نفس الوقت عن الأرواح الشريرة والسحر بصفة عامة، السحر الأبيض في مواجهة السحر الأسود مع إشارات مختلفة إلى ما ورد في كتاب الموتى عند المصريين القدماء..

أثار سلوك بوارو احتقاراً شديداً لدى الدكتور توسويل الذي جذبني من ذراعي وانتحى بي جانباً وهو يقول:

ـ دجل يا سيدي.. مجرد دجل.. هذا الرجل دجال، إنه لا يعرف الفرق بين خرافة العصور الوسطى والعقائد في مصر القديمة، لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الجهل.

حاولت أن أهدىء ثائرة العالم الغاضب ولحقت ببوارو في الخيمة، وكان صديقي يبتسم في سرور زائد وهو يقول:

ـ الآن نستطيع أن ننام في هدوء.. إن رأسي مصدع تماماً..

شاهدت باب الخيمة يفتح ورأس حسان يطل منه وهو يحمل قدحاً يتصاعد منه البخار وقدمه لبوارو، واتضح لي أنه قدح من البابونج، وهو شراب محبب لبوارو، وعندها شكره بوارو بينما رفضت قدحاً من المشروب عرضه عليّ الرجل.

انسحب حسان وتركنا وحدنا مرة ثانية.. ووقفت بالقرب من الباب بعد أن خلعت ملابسي ونظرت إلى الصحراء وقلت بصوت مرتفع:

ـ مكان رائع.. وعمل رائع.. إنني أشعر بالسحر الذي يشع من حياة الصحراء التي تتوسط قلب العالم المتحضر.. لا شك أنك تحس بنفس المشاعر يا بوارو؟

لم أتلق رداً على سؤالي مما سبب لي بعض الضيق، وسرعان ما تحول ضيقي إلى قلق، فقد كان بوارو راقداً على الحشية الخشنة ووجهه يتقلص بشكل بشع وبجواره القدح خالياً من الشراب، اندفعت إليه ورأيته يحملق في وجهي بذهول دون أن يتكلم.

أسرعت إلى خيمة الدكتور أميس وطالبته بالإسراع إلى الخيمة، وقال الطبيب الذي كان يرتدي البيجامة:

ـ ما الذي حدث؟

ـ صديقي.. إنه مريض.. لعله يموت.. إنه شراب البابونج.. لا تسمح لحسان بمغادرة المعسكر.

اندفع الطبيب إلى الخارج وكان بوارو في نفس الوضع الذي تركته عليه.. وصاح أميس:

ـ شيء غير عادي.. يبدو كما لو كان شللاً.. ما الذي قلت إنه شربه؟

أمسك الطبيب القدح الفارغ، وتردد صوت هادىء يقول: ولكن الذي حدث أنني لم أشربه.

نظرنا إلى بوراو في دهشة، وكان بوارو يجلس في تلك اللحظة فوق السرير ناظراً إلينا في ابتسام وقال:

كلا لم أتناول الشراب بينما كان صديقي هاستنجز يتغنى بسحر الصحراء انتهزت الفرصة وسكبت الشراب، لم أسكبه في حلقي وإنما في زجاجة صغيرة، وهذه الزجاجة الصغيرة سوف ترسل إلى المعمل لتحلل كيميائياً.

وهنا اندفع الطبيب في حركة مفاجئة، فصاح بوارو:

ـ كلا.. إنك كرجل عاقل تدرك أن العنف لن يجدي، لقد انتهزت فرصة ذهاب هاستنجز ليناديك، فأخفيت الزجاجة في مكان أمين قيد حركته بسرعة يا هاستنجز.

لم أفهم في الوقت المناسب سبب لهفة بوارو على أن أنفذ أوامره، ووقفت أمامه لأدفع عنه أي خطر يمكن أن يهدد حياته، ولكن حركة الطبيب السريعة كان لها معنى آخر.. فقد انتهز الفرصة وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة وأفرغ السائل في جوفه، وتصاعدت في الجو رائحة نفاذه، وترنح الطبيب ثم سقط على الأرض، وقال بوارو بأسى:

ـ ضحية أخرى ولكنها الأخيرة.. ربما كانت هذه أفضل الوسائل، ولكن دم ثلاث ضحايا سوف يظل معلقاً برأسه.

وصحت في دهشة:

ـ الدكتور أميس؟ ولكنني كنت أعتقد أنك تنسب الأحداث إلى بعض العلوم الغامضة.

ـ لقد أسأت فهمي يا هاستنجز.. كل ما كنت أعنيه أنني أعتقد في القوى المرعبة للخرافات.

إنه يكفي أن يستقر في الأذهان أن سلسلة من الوفيات قد حدثت بطريقة خارقة للطبيعة لكي تستطيع في ظل هذا الجو أن تطعن رجلاً في وضح النهار، ويقال إنها اللعنة.. إن هذه الخرافات متأصلة في النفس البشرية وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن شخصاً يفيد من هذه الغريزة، ولقد جاءته الفكرة على ما أعتقد عند وفاة السير جون ويلارد، وتمكنت الخرافة في الحال من السيطرة على كل العقول.

وعلى حسب اعتقادي فإن أحداً لم ير أية منفعة يمكن أن تتحقق من وفاة السير جون ويلارد، ولكن الموقف يختلف بالنسبة للمستر بلينر، فهو رجل يمتلك ثروة ضخمة، وقد تضمنت المعلومات التي تلقيتها من نيويورك بعض النقط المفيدة، أولها أن روبرت بلينر الشاب قرر أن له في مصر صديقاً طبياً يستطيع أن يقترض منه، والمفهوم بداهة أنه يقصد عمه، ولكنني فكرت في أنه لو كان يعني عمه حقاً لذكر ذلك صراحة، ومن ثم فإن الشاب كان يعني صديقاً عزيزاً، والنقطة الثانية أنه استطاع تدبير مبلغ يكفي لتغطية نفقات السفر إلى مصر، وقد رفض عمه أن يعطيه بنساً واحداً. ومع هذا فقد استطاع الشاب أن يحصل على المال الكافي لرحلة العودة، وعلى هذا الأساس فلا بد أن شخصاً أقرضه المال.

وقلت معترضاً:

ـ كل هذه الحقائق لا تعتبر أدلة دامغة.

- توجد حقائق أخرى يا هاستنجز.. قد ينطق الإنسان ببعض الألفاظ التي يقصد من ورائها المعنى المباشر، ولكنها تؤخذ على أنها تعبير مجازي. كما يحدث العكس عندما يقول الإنسان شيئاً يقصد معناه المجازي فيؤخذ الكلام بمعناه الحرفي، وكانت كلمات بلينر، التي ذكرها في خطابه، واضحة تمام الوضوح:

«أنا أبرص» ولم يتنبه أحد إلى أنه أطلق الرصاص على نفسه لأنه كان يعتقد أنه أصيب بجرثومة مرض الجذام اللعين.

وقلت بدهشة:

- ماذا تقول؟

- لقد كان ذلك نتاج عبقرية عقل شيطاني.. كان بلينر الشاب يعاني من آلام مرض جلدي بسيط، وكان قد عاش بعض الوقت في جزر بحر الجنوب حيث ينتشر مرض الجذام، وكان أميس صديقاً قديماً لبلينر الشاب، ولم يكن بلينر الشاب ليشك في صدق الطبيب، أو يرتاب في صحة تشخيصه للمرض.

وقد استطاع الدكتور أميس أن يقنع الشاب بأنه مصاب بالجذام، وعندما وصلت إلى هذا المكان توزعت شكوكي بين هاربر والدكتور أميس، ولكنني سرعان ما أدركت أن الطبيب وحده هو الذي يستطيع أن يدبر تلك الجرائم ويخفيها، وقد عرفت من هاربر أنه كان على علاقة سابقة ببلينر الشاب، ومما لا شك فيه أن الأخير كان قد أمن على حياته لصالح الطبيب أو كتب وصية لصالحه، ووجد الأخير الفرصة سانحة للحصول على الثروة، وكان من السهل عليه أن يحقن المستر بلينر العجوز بالجراثيم القاتلة، وعندما استولى اليأس على الشاب حين أرسل له الطبيب بالأنباء المزعجة عن وفاة عمه بنفس مرضه أطلق الرصاص على نفسه، وأياً كانت نوايا المستر بلينر فإنه لم يترك وصية، ومن المفروض أن تنتقل الثروة إلى ابن أخيه، ومن هذا الأخير إلى الطبيب.

- وماذا بشأن المستر شنايدر؟

- لا نستطيع أن نجزم برأي قاطع، كان هو أيضاً يعرف بلينر الشاب، وربما يكون قد شك في شيء، أو لعل الطبيب فكر في حدوث وفاة جديدة ليس لها هدف قد يعزز قصة الخرافة التي أشيعت عن لعنة الفراعنة، فضلاً عن هذا فسوف أذكر لك حقيقة سيكولوجية مثيرة يا هاستنجز: إن القاتل يشعر دائماً برغبة ملحة في أن يكرر جريمته الناجحة، ومن هنا شعرت بالخوف على ويلارد الشاب، أما شبح أنوبيس الذي رأيته الليلة فلم يكن سوى حسان الذي تنكر في ذلك الزي بناء على أوامري، وكانت خطتي أن أحاول إدخال الرعب على قلب الطبيب، ولكن الأمر كان يحتاج إلى ما هو أكبر من الأمور الخارقة للطبيعة لإخافته، وقد اتضح لي أنه لم يكن مقتنعاً بفكرة اللعنة، وقد قمت بتمثيل الكوميديا التي تخدعه، وتوقعت أن

يقوم بمحاولة جديدة ليتخلص مني، ولكن بالرغم من رحلة البحر ومتاعبها والحرارة القاسية ومضايقات الرمل فإن خلايا المخ الصغيرة كانت لا تزال تعمل بإحكام!

وثبت أن بوارو كان محقاً في استنتاجاته، فقد حدث منذ بضع سنوات أن كتب بلينر الشاب وصية على سبيل المزاح بعد أن أفرط في الشراب ذكر فيها أنه يترك (علبة السجاير الذهبية وأي شيء آخر يكون ملكاً لي ساعة موتي يؤول كل ذلك إلى الصديق العزيز روبرت أميس الذي أنقذ حياتي من الغرق ذات يوم).

انتهت القضية عند ذلك الحد، وحتى هذا اليوم لا يزال الناس يتحدثون عن سلسلة الوفيات التي ارتبطت بالكشف عن مقبرة منقرع، على أساس أنه دليل قائم على صدق قصة لعنة الفراعنة التي تصيب كل من يعبث بقبورهم ـ وهو اعتقاد على حد ما يقول بوارو يختلف تمام الاختلاف مع أفكار المصريين القدماء وعقائدهم..

■ ٦ ■

سرقة سندات بمليون دولار

وضعت الصحيفة الصباحية جانباً وأنا أقول لبوارو:

ـ لقد تعددت سرقة السندات في الفترة الأخيرة يا بوراو.. ما رأيك لو أننا تركنا الكشف عن الجريمة لمرتكبها؟

وقال بوارو بانفعال:

ـ ماذا تريد أن تقول.. أن تحقق الثراء بالطريق السريع؟

ـ أنظر إلى هذه الضربة.. مليون دولار من سندات الحرية يرسلها بنك لندن واسكتلنده إلى نيويورك على ظهر الباخرة أوليمبيا وتختفي كالدخان في الهواء؟

ـ لو لم يكن دوار البحر يتعبني لقمت برحلة بحرية طويلة على واحدة من عابرات المحيطات.

وقلت له بحماس:

ـ نعم.. بعض تلك البواخر الضخمة تضم حمامات للسباحة ومطاعم وملاعب.. إن من الصعب أن يصدق الإنسان أن تتوفر كل هذه المتع على سطح البحر.

وقال بوارو بحزن:

ـ أما أنا فأعرف عندما أكون في البحر لأنني لا أستمتع بتلك المتع التي تتحدث عنها، ولكن تخيل الشخصيات التي تسافر بالبحر، فعلى ظهر هذه البواخر يلتقي الإنسان بالصفوة من العظماء في عالم الجريمة!

ضحكت وأنا أقول له:

ـ إذن فقد كنت أتمنى أن تقوم برحلة بحرية لتلتقي وجهاً لوجه باللص الذي سرق سندات الحرية؟

وفي هذه اللحظة دخلت صاحبة البيت لتعلن عن قدوم شابة تطلب مقابلة بوارو، وكانت بطاقتها تحمل اسم.. المس إيمي فار كوهار، وبعد أن انحنى بوارو تحت المائدة ليلتقط قطعة من فتات الخبز سقطت على الأرض، طلب من صاحبة البيت أن تدخل الزائرة، وبعد لحظة كانت تدخل الحجرة واحدة من أجمل من رأيت من النساء، تبلغ من العمر نحو خمسة وعشرين عاماً ذات عينين عسليتين واسعتين وقوام بديع وترتدي ملابس فاخرة.

قال لها بوارو:

ـ تفضلي بالجلوس يا مدموازيل.. هذا صديقي الكابتن هاستنجز الذي يعاونني في حل المشاكل الصغيرة.

وقالت المس فاركوهار وهي تنحني لي قبل الجلوس:

ـ أخشى أن تكون المشكلة التي آتيك بها اليوم يا مسيو بوارو جسيمة. . أعتقد أنك قرأت الصحف. . إنني أقصد حادث سرقة سندات الحرية على ظهر الباخرة أوليمبيا؟

لا بد أن تكون إمارات الدهشة قد ظهرت على وجه بوارو لأنها قالت بسرعة:

ـ لعلك تتساءل عما يهمني من تلك المشكلة الخطيرة التي يواجهها بنك لندن واسكتلندة؟ وأحب أن أقول لك إنها من ناحية لا تهمني إطلاقاً. . ومن الناحية الأخرى تهمني جداً لأنني مخطوبة للمستر فيليب ريدجواي.

ـ آه. . ومن يكون المستر فيليب ريدجواي؟

ـ الشخص الذي كانت السندات تحت رعايته عندما سرقت. . وبالطبع لم يوجه إليه حتى الآن أي لوم لأن الخطأ لم يكن خطأه بأي حال، ولكنه مهموم إلى أبعد الحدود، ويتهمه عمه بأنه قد يكون تحدث بإهمال عن وجود السندات معه وسوف يكون لهذا الحادث تأثيره السيء على مستقبله.

ـ ومن هو العم؟

ـ مستر فافاسور المدير المساعد لبنك لندن واسكتلندة.

ـ ما رأيك يا مس فاركوهار في أن تروي لنا القصة بالتفصيل؟

ـ حسن جداً. . أراد البنك أن يمد نشاطه إلى أمريكا، ومن ثم قرر أن يرسل إلى الولايات المتحدة سندات بمليون دولار، واختار المستر فافاسور ابن أخيه الذي يشغل وظيفة في البنك تجعله أهلاً للثقة، فضلاً عن أنه عمل في البنك سنوات طويلة مما يجعله على دراية بكل أعمال البنك. .

وأبحرت الباخرة أوليمبيا من ميناء ليفربول في الثالث والعشرين، وكانت السندات قد سلمت لفيليب في صبيحة ذلك اليوم بمعرفة المستر فافاسور والمستر شو، المديران المشاركان للبنك، وتم إحصاء السندات ووضعت في لفافة ثم ختمت بحضور فيليب الذي وضعها في الحال في حقيبته.

ـ أهي حقيبة ذات قفل عادي؟

ـ كلا. . فقد أصر المستر شو على أن يجهز الحقيبة بقفل خاص من هوبس، ووضع فيليب اللفافة التي تضم السندات في قاع الحقيبة، ووقعت السرقة قبل ساعات قليلة من وصول السفينة إلى نيويورك، وأجري تفتيش دقيق للسفينة دون جدوى وبدا الأمر كما لو أن السندات تبخرت في الهواء.

وقال بوارو:

ـ ولكنها لم تختف تماماً بدليل أنها طرحت للبيع في لوطات صغيرة خلال نصف ساعة من رسو السفينة على الشاطىء. . سوف تكون الخطوة التالية أن أقابل المستر ريدجواي.

وقالت الفتاة:

ـ كنت على وشك أن أقترح عليك أن تتناول الغداء معي

في مطعم «شيشايرشيز» لأن فيليب سوف يكون هنالك، من المفروض أن نلتقي هناك ولكنه لا يعلم حتى هذه اللحظة أنني أطلب مشورتكم في المشكلة نيابة عنه.

وافقنا على الاقتراح بترحيب وركبنا سيارة أجرة إلى المطعم، وكان المستر فيليب ريدجواي قد سبقنا إلى هناك، وفوجيء بوصول خطيبته في صحبة رجلين غريبين، وكان فتى جذاباً طويل القامة شعر سوالفه رمادي رغم أنه لم يتجاوز الثلاثين بكثير واتجهت المس فاركوهار نحو خطيبها ووضعت يدها فوق ذراعه قائلة:

ـ أرجو أن تعفو عني يا فيليب إذا كنت قد تصرفت دون مشورتك.. دعني أقدم لك المسيو هرقل بوارو المخبر الكبير الذي سمعت عنه ولا شك، وصديقه الكابتن هاستنجز.

بدت الدهشة على ريدجواي الذي قال وهو يصافح بوارو:

ـ بالطبع لقد سمعت عنك الشيء الكثير يا مسيو بوارو.. ولكنني لم أفكر قط في أن إيمي سلتجأ إليك بشأن مشكلتي.

وقالت المس فاركوهار:

ـ كنت أخشى ألا توافق على الفكرة يا فيليب.

وقال فيليب باسماً:

ـ لهذا رأيت أن تكوني في جانب الأمان.. أرجو أن يتمكن المسيو بوارو من حل هذا اللغز المحير، لأنني أعترف بأنني أكاد أجن لما حدث.

كان وجهه مشبعاً بالقلق بالفعل ويعكس آثار الضغط العصبي الذي يعاني منه، وقال بوارو:

ـ حسن.. فلنتناول طعام الغذاء ونتحدث خلال الطعام عن المشكلة.. أريد أن أسمع القصة من المستر ريدجواي نفسه.

وبعد أن تحدثنا عن جودة الطعام راح فيليب ريدجواي يروي الظروف التي انتهت باختفاء السندات، وجاءت قصته متفقة في كل التفاصيل مع ما روته المس فاركوهار.

وعندما انتهى من قصته سأله بوارو:

ـ ما الذي جعلك تجزم بأن السندات قد سرقت يا مستر ريدجواي؟

ضحك الشاب بمرارة ثم قال:

لقد صدمتني الحقيقة في وجهي يا مسيو بوارو وما كان باستطاعتي أن أتغافل عنها.. فقد كانت الحقيبة مفتوحة عندما دخلت كابينتي والأشياء التي بداخلها مبعثرة بينما آثار محاولة فتح القفل ظاهرة.

ـ ولكني فهمت أن الحقيبة فتحت بواسطة مفتاح.

ـ هذا صحيح.. حاول اللصوص كسر القفل ولم تنجح المحاولة، ولا بد أنهم فتحوها آخر الأمر بوسيلة أو بأخرى.

وقال بوارو وفي عينيه بريق الاهتمام:

ـ هذا أمر غريب.. بالغ الغرابة! يضيعون وقتاً طويلاً جداً

في محاولة كسر القفل ثم يكتشفون أن المفتاح كان معهم منذ البداية.. والمعروف أن مفاتيح هوبس فريدة في نوعها حيث لا يصنع من كل مفتاح سوى نسخة وحيدة.

ـ وهذا هو السبب الذي من أجله لم يكن باستطاعتهم الحصول على المفتاح.. والمفتاح الذي كان معي لم يكن يفارقني في الليل أو النهار.

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟

ـ أستطيع أن أقسم على ذلك، فضلاً عن أنهم لو كانوا يملكون المفتاح أو نسخة منه لما أضاعوا الوقت في محاولة كسر قفل من الواضح أنه غير قابل للكسر.

ـ آه! وهذا هو السؤال الذي يجب أن نوجهه لأنفسنا! وأستطيع أن أتنبأ بأن الحل ـ إذا اهتدينا إليه ـ سوف يدور حول هذه الحقيقة الغريبة.. أرجو ألا يزعجك أن أوجه إليك سؤالاً آخر أو سؤالين.. هل أنت واثق تماماً من أنك لم تترك الحقيبة مفتوحة؟

حملق الشاب في وجه بوارو بدهشة دون أن يجيب.

وقال بوارو بهدوء:

ـ ولكن مثل هذه الأشياء تحدث.. حسن جداً.. سرقت السندات من الحقيبة، ما الذي فعله اللص بالسندات؟ كيف استطاع النزول إلى الشاطىء والسندات معه؟

وصاح الشاب بانفعال:

ـ هذه هي المشكلة! كيف؟ لقد أحيط رجال الجمارك علماً بالسرقة، ولم يتركوا راكباً واحداً دون أن يفتشوه بدقة أثناء نزوله إلى الشاطىء.

ـ والسندات على ما أعتقد كانت تؤلف لفافة ضخمة؟

ـ بكل تأكيد، ولم يكن من السهل إخفاؤها في الباخرة، ومع هذا فنحن نعلم أنها لم تترك في الباخرة لأنها طرحت للبيع خلال نصف ساعة من وصول الباخرة، أي منذ وقت طويل قبل أن أتمكن من إرسال البرقية وأتلقى الرد بأرقام السندات وأكثر من هذا، صرح أحد السماسرة أنه تلقى بعض السندات قبل أن تصل الباخرة إلى الميناء، وليس من المعقول بالطبع أن ترسل السندات باللاسلكي.

ـ ليس باللاسلكي طبعاً، ولكن هل اقتربت مقطورة من الباخرة؟

ـ لم أر سوى المقطورات الرسمية وكان ذلك بعد الإنذار بالحادث، وقد كنت أراقب الموقف بنفسي لعل السندات تهرب بتلك الطريقة.. يا إلهي! إن هذا الحادث يدفعني للجنون يا مسيو بوارو.. لقد بدأ الناس يقولون إنني سرقت السندات بنفسي.

وسأل بوارو برقة:

ـ ولكنهم فتشوك كما فتشوا الآخرين أليس كذلك؟

ـ نعم . .

وقال بوارو وهو يبتسم ابتسامة غامضة:

ـ يبدو أنك لم تفهم ما أعنيه . . سوف أبدأ الآن بعض التحريات في البنك.

أخرج ريدجواي بطاقة من جيبه وكتب عليها بضع كلمات قائلاً:

ـ قدم هذه البطاقة وسوف يقابلك عمي على الفور.

شكره بوارو واعتذر للمس فاركوهار ثم انسحبنا لنذهب رأساً إلى المكتب الرئيسي لبنك لندن واسكتلندة، وبمجرد تقديم بطاقة ريدجواي سمح لنا باجتياز القاعات الفسيحة المزدحمة بالحواجز والمكاتب وغرف الصيارفة، ثم وصلنا في النهاية إلى غرفة صغيرة تضم مكتب مديري البنك، وكان الأسى يبدو واضحاً على وجهي السيدين العجوزين اللذين أمضيا زهرة العمر في خدمة البنك، وكانت للمستر فافاسور لحية قصيرة بيضاء، بينما كان المستر شو حليق الذقن، وقال المستر فافاسور:

ـ أعلم أنك مخبر خاص تقوم بالعمل لحسابك تماماً . . لقد وضعنا الأمر بالطبع بين يدي رجال اسكتلانديارد، ويحقق في هذه القضية المفتش ماك نيل وهو ضابط قدير على ما أعتقد.

وقال بوارو وبأدب شديد:

ـ إنني واثق من ذلك . . وأرجو أن تسمح لي بالنيابة عن ابن أخيك أن أوجه بضعة أسئلة بشأن ذلك القفل، من الذي طلب من هوبس صنعه؟

وقال المستر شو:

ـ أنا الذي أمرت بذلك شخصياً لأنني لم أكن أستطيع أن أطمئن إلى قيام واحد من الكتبة بهذا العمل، وفيما يتعلق بالمفاتيح، فقد سلمت واحداً للمستر ريدجواي، والمفتاحان الاخران في عهدتي وعهدة زميلي.

ـ ألم يقترب من تلك المفاتيح أحد من كتبة البنك؟

نظر المستر شو إلى زميله مستفسراً، وقال المستر فافاسور:

ـ أعتقد أنني أقول الحق عندما أقرر أن المفتاحين ظلا في الخزانة منذ يوم ٢٣ عندما أودعناهما بأنفسنا . . ولسوء الحظ أصيب زميلي بالمرض منذ أسبوعين . . في الواقع فوجىء بالمرض في نفس اليوم الذي سافر فيه فيليب، ولم يشف من مرضه ويعود إلا اليوم.

وقال المستر شو بأسف:

ـ ليست النزلة الشعبية بالأمر الهين لمن هو في مثل سنّي . . ولكنني أخشى أن أقول إن المستر فافاسور قد تحمل العمل الشاق وحده أثناء مرضي، بالإضافة إلى الهموم الجديدة التي أضيفت بحادث السرقة.

وجه بوارو بضعة أسئلة أخرى، واتضح لي أنه يحاول قدر الاستطاعة التثبت من صحة المعلومات التي حصل عليها بمقارنة كلام العم وابن أخيه، وكانت إجابات المستر فافاسور مختصرة ومحكمة، وقال الرجل إن ابن أخيه شخص موثوق فيه، وإنه ليس غارقاً في الدين ولا يواجه أية متاعب مالية، وقد سبق أن عهد إليه بمأموريات مماثلة في الماضي. وانحنى لنا الرجل العجوز بأدب مودعاً.

وعندما خرجنا إلى الشارع قال بوارو:

- لقد أصبت بخيبة أمل.

- هل كنت تتوقع الحصول على المزيد من الحقائق؟ لقد كانا عجوزين ثقيلين!

- ليست غلطتهما هي التي خيبت آمالي يا صديقي! فلم أتوقع كما في الروايات البوليسية أن أقابل رجلاً مالياً حاد الذكاء وفي عينيه نظرات الصقر المتحفز.

- كلا. إن الذي يشعرني بخيبة الأمل أن القضية سهلة إلى أبعد حد!

- سهلة؟

- نعم. ألا ترى أن طفلاً يستطيع أن يهتدي إلى السر بسهولة؟

- تريد أن تقول إنك تعرف من الذي سرق السندات؟

- نعم.

وقلت في اضطراب:

- ولكن.. يجب أن.. لماذا..

- لا تسبب لنفسك الحيرة يا هاستنجز.. لن نفعل شيئاً في الوقت الحاضر.

- ولكن لماذا؟ ماذا تنتظر؟

- الباخرة من نيويورك يوم الثلاثاء المقبل.

ولكن إذا كنت تعرف من الذي سرق السندات فلماذا تنتظر وتتيح الفرصة للسارق كي يهرب؟

- يهرب إلى جزيرة في بحر الجنوب لا تلتزم بتسليم المجرمين الفارين؟ كلا يا صديقي.. سوف يجد الحياة بلا طعم هنالك! أما سبب انتظاري يا صاحبي.. حسن.. بالنسبة لعبقرية هركيول بوارو تبدو القضية بالغة السهولة والوضوح، أما انتظاري فلمصلحة الآخرين الذين لم يمنحهم الله هذه الموهبة.

- المفتش ماك نيل على سبيل المثال، وفترة الانتظار تسمح بالقيام ببعض التحريات التي توضح بعض الأمور.. يجب أن يضع الإنسان في تقديره أولئك الذين لم يوهبوا مثل عبقريته!

وقلت بغيظ:

- يا إلهي! هل تعرف يا بوارو أنني على استعداد لأن أدفع مبلغاً كبيراً لأراك تفشل ولو مرة واحدة وتبدو كالحمار الأبله.. إنك تثق في قدرتك إلى درجة الغرور.

ـ لا تستسلم للغضب يا هاستنجز.. إنني في الحقيقة أرى مشاعرك تحوي في بعض الأحيان تصل إلى حد الكراهية! إنني أدفع ثمن عبقريتي للأسف الشديد!

ضرب الرجل الصغير صدره وهو يقول تلك الكلمات بحيث بدا لي مظهره مضحكاً للغاية، فلم أستطع أن أكتم الضحك..

ركبنا يوم الثلاثاء القطار إلى ميناء ليفربول ـ ورفض بوارو بعناد أن يخبرني بشكوكه أو نظرياته التي تحقق منها ـ واكتفى بالتعبير عن دهشته، لأنني أنا أيضاً لا أستطيع أن أرقى إلى مستوى الموقف، ولما كنت قد كرهت الجدل معه، فقد أخفيت مشاعري وتظاهرت بعدم الاكتراث.

بمجرد وصولنا إلى الرصيف الذي ينتظر أن ترسو عليه الباخرة، أصبح بوارو يقظاً، وكانت خطته تقضي بأن نقابل أربعة من الخدم الذين يعملون على السفينة، وأن نبحث عن صديق لبوارو سافر إلى نيويورك في الثالث والعشرين من الشهر.

سيد عجوز يضع نظارات على عينيه، وهو مقعد تماماً وقلما كان يتحرك من كابينته.

كان الوصف ينطبق على رجل يدعى "المستر فنتور، وكان الرجل يشغل الكابينة رقم س ٢٤، وهي الكابينة المجاورة لتلك التي كان يحتلها المستر فيليب ريدجواي، ورغم أنني لم أستطع أن أعرف الكيفية التي استنتج بها بوارو وجود شخصية المستر فانتور، إلا أن هذا الاكتشاف زاد فضولي وقلت لأحد خدم السفينة:

ـ قل لي.. هل كان هذا السيد أول من غادر السفينة عند وصولنا إلى نيويورك؟

هز الخادم رأسه نفياً وأجاب:

ـ كلا.. يا سيدي.. لقد كان في الواقع آخر من غادر السفينة من الركاب.

غمرني شعور باليأس، ورأيت بوارو يقطب جبينه وهو ينظر إلي، وشكرنا الخادم ثم انصرفنا، وقلت له:

ـ حسن جداً.. ولكن هذه الإجابة الأخيرة لا بد أن تكون قد قلبت نظريتك رأساً على عقب؟

وقال بوارو ساخراً:

ـ أنت كعادتك لا تلاحظ شيئاً يا هاستنجز، هذه الإجابة الأخيرة على العكس عززت وجهة نظري تماماً.

ضممت يدي في يأس وأنا أقول:

ـ إني أعترف بالعجز.

* * *

عندما ركبنا القطار المسرع إلى لندن، كان بوارو مشغولاً

بكتابة خطاب لمدة بضع دقائق، ثم وضع الخطاب في مظروف وأغلقه بعناية وهو يقول:

- هذا للمفتش الطيب ماك نيل.. سوف نتركه له في مكتبه بسكوتلانديارد أثناء مرورنا بالمكتب، ثم نتوجه إلى المطعم الذي حددته للمس إيمي فاركوهار لتتناول معنا طعام العشاء.

- وماذا بشأن ريدجواي؟

وقال بوارو وهو يغمز بعينه!

- ماذا بشأنه؟

وأجبته في اضطراب:

- لماذا.. من المؤكد أنك لا تفكر في.. أنك لا تستطيع أن..

وقال بوارو باسماً:

- لقد بدأت عادة عدم انتظام التفكير تتضخم لديك يا هاستنجز.. في الواقع لقد فكرت في الأمر، لو أن ريدجواي هو اللص - وهذا مستحيل تماماً - لكانت القضية مشوقة للغاية ولا تحتاج إلى أكثر من بعض التفكير المنطقي لحل اللغز.

- ولكنها لا تكون مشوقة بالنسبة للمس فاركوهار.

- من المحتمل أن تكون على حق.. والآن دعنا نستعرض القضية معاً يا هاستنجز، إنني أراك في أشد اللهفة إلى معرفة الحل.. لقد اختفت اللفافة المختومة من الحقيبة وتبخرت كما تقول المس فاركوهار في الهواء.. وسوف نستبعد نظرية التبخر في الهواء لأنها غير عملية في عصر العلم الذي نعيشه اليوم ولنفكر فيما هو محتمل أن يحدث للفافة السندات.. ويؤكد الجميع استحالة تهريب سندات إلى الشاطىء..

- نعم، ولكننا نعلم..

وقاطعني بوارو قائلاً:

- ربما كنت تعلم يا هاستنجز ولكنني لا أعلم، ومن رأيي أنه طالما كانت تلك الفكرة غير معقولة فهي غير معقولة.. يبقى أمامنا احتمالان: أن تكون السندات قد أخفيت على ظهر الباخرة، وهذا الاحتمال أيضاً يبدو مستبعداً، أو أن تكون السندات قد ألقيت من ظهر السفينة إلى البحر.

وقلت بدهشة:

- تعني أنها ربطت إلى قطعة من الفلين؟

- بدون فلين!

حملقت في وجهه بدهشة وأنا أقول:

- ولكن السندات لو ألقيت في البحر فما كانت تطرح للبيع بعد ذلك في نيويورك.

- إنني معجب بطريقة تفكيرك المنطقي! هاستنجز.. لقد عرضت السندات للبيع في نيويورك، ولهذا فلا يمكن أن تكون قد ألقيت في البحر ألا ترى إلى أين يقودنا هذا الاستنتاج؟

- إلى حيث كنا ساعة بدأنا.

- كلا بالمرة! إذا كانت اللفافة التي تضم السندات قد ألقيت في البحر، وبيعت السندات في نيويورك، فلا يمكن أن تكون اللفافة التي ألقيت في البحر هي التي تضم السندات هل هناك أي دليل على أن اللفافة كانت تضم السندات بالفعل؟ تذكر أن المستر ريدجواي لم يفتح اللفافة منذ وضعت بين يديه في لندن.

- نعم.. ولكنه بعد ذلك..

أشاح بوارو بيده في ضيق وهو يقول:

- اسمح لي أن أكمل عرضي.. آخر مرة شوهدت فيها السندات كسندات كانت في لندن.. في بنك لندن واسكتلندة صباح يوم ٢٣ وتعود السندات للظهور بعد نصف ساعة من رسو الباخرة على الشاطىء في نيويورك، بل وأكثر من هذا ووفقاً لشهادة أحد السماسرة الذين لم يشأ أحد أن يستمع إليهم، ظهرت السندات في السوق قبل وصول الباخرة. فلنفترض الآن أن السندات لم تسافر أصلاً على ظهر الباخرة أوليمبيا، هل توجد وسيلة أخرى لوصول السندات إلى نيويورك؟

نعم.. كانت الباخرة جايجانتيك تبحر من ميناء سوثهامبتون في نفس اليوم الذي تبحر فيه الباخرة أوليمبيا، والمعروف أن جايجانتيك صاحبة الرقم القياسي في عبور المحيط الأطلنطي.. فإذا أرسلت السندات على ظهر جايجانتيك أتيح لها أن تصل إلى نيويورك في اليوم السابق لوصول أوليمبيا.

أظن أن الأمور قد بدأت تتضح وبدأت القضية تشرح نفسها.. لقد كانت اللفافة المختومة مجرد دمية للتعمية، ولا بد أن تكون عملية استبدال اللفافة قد جرت في البنك نفسه، وكان من السهل على أي رجل من الثلاثة أن يغير اللفافة التي تضم السندات الحقيقية بلفافة أخرى مزيفة.. حسن جداً.. وتشحن السندات لتصل إلى عميل في نيويورك لديه التعليمات بأن يعرض السندات للبيع بمجرد وصول الباخرة أوليمبيا، ولكن لا بد أن يسافر شخص ما على ظهر الباخرة أوليمبيا لينظم عملية السرقة المزعومة للسندات.

- ولكن لماذا؟

- لأن ريدجواي بمجرد أن يفتح اللفافة ويكتشف أنها لا تضم السندات فإن الشبهات سرعان ما تتجه إلى شخص ما في لندن.. والآن يجيء دور الرجل الذي حجز الكابينة المجاورة لريدجواي، يتصنع الرجل أنه حاول كسر القفل عنوة حتى يترك من الآثار ما يلفت الأنظار إلى محاولة السرقة، ثم يفتح الحقيبة بعد ذلك بنسخة من المفتاح كانت معه طوال الرحلة. ثم يلقي اللفافة بعد ذلك في البحر وينتظر حتى يكون آخر من يغادر السفينة من الركاب. وهو يضع نظارات على عينيه وهذا أمر طبيعي ليخفي عينيه، وهو مقعد طالما أنه لا يجب أن يخاطر

بمقابلة ريدجواي، وينزل الرجل المقعد إلى الشاطىء في نيويورك ليعود على ظهر أول باخرة متاحة..

ـ ولكن من.. من يكون الرجل؟

ـ الرجل الذي يملك نسخة من المفتاح.. الرجل الذي أمر بإعداد القفل، الرجل الذي لم يكن مريضاً ويعاني من نزلة شعبية حادة كما يدعي.. هو ذلك الرجل العجوز الماكر المستر شو! يوجد أحياناً مجرمون يا صديقي يشغلون أعلى المناصب.. آه ها قد وصلنا..

ـ مدموازيل.. لقد نجحت.. هل تسمحين؟

وفوجئت الفتاة ببوارو مشرق الوجه يقبلها قبلة خفيفة على كل خد من خديها دون سابق إنذار!

ذات القناع الأسود

كانت تبدو على صديقي بوارو منذ بعض الوقت دلائل القلق والسأم ، ولم تكن قد عرضت لنا في الفترة الأخيرة قضايا مثيرة من النوع الذي يتيح لصديقي القصير القامة فرصة لاستخدام مواهبه وقدراته العجيبة على الاستنتاج والاستدلال.

وفي صباح ذلك اليوم من شهر يوليو. . ألقى بوارو بالصحيفة الصباحية جانباً في ضجر وقال:

- إن أشقياء إنجلترا يرهبونني يا هاستنجز. . فحيثما يوجد القط لا تجسر الفيران الصغيرة على الاقتراب من الجبن.

فقلت ضاحكاً:

- أنا لا أعتقد أن الغالبية العظمى من أشقياء إنجلترا تعلم أن هناك شخصاً على قيد الحياة يدعى هركيول بوارو.

فرمقني بنظرة عتاب . .

كان يتوهم أن الدنيا كلها تفكر في هركيول بوارو وتتحدث عنه . صحيح أن اسمه أصبح معروفاً في لندن، ولكني لا

أعتقد أن وجوده كان خليقاً بأن يوقع الرعب في قلوب المجرمين.

قلت له:

ـ ما قولك إذن في حادث سرقة المجوهرات الذي وقع في شارع (بوند) منذ بضعة أيام.

فأجاب:

ـ الحق أنه حادث فريد ولكنه ليس من النوع الذي يستهويني.. إنه ينطوي على الجرأة.. ولكن ليس فيه فن.. رجل يهوي بعصاه على الواجهة الزجاجية لحانوت أحد تجار المجوهرات فيحطمها.. ويختطف بعض المجوهرات الثمينة فيقبض عليه المارة فوراً.

ويحضر رجال البوليس ويجدون المجوهرات في جيبه، ويقتادونه إلى مركز البوليس. وهناك يكتشفون أن المجوهرات مزيفة.. وأن المجوهرات الحقيقية قد هربها اللص مع زميل له كان بين المارة.. صحيح أن اللص سيحاكم ويسجن.. ولكنه عندما يخرج من السجن سيجد في انتظاره ثروة ينفقها كيف يشاء.. فكرة لا بأس بها.. ولكني أستطيع أن أفعل خيراً من ذلك.. إنني أشعر بالأسف أحياناً يا هاستنجز.. لأنني لا أعمل ضد القانون.

ـ هون عليك يا صديقي.. أنت تعلم أنك فريد في تخصصك.

ـ ولكن أين هي القضايا أو الأحداث التي تدخل في تخصصي؟

فتناولت الصحيفة وألقيت على عناوين الأنباء نظرة سريعة وقلت:

ـ هوذا مثلاً رجل انجليزي مات بطريقة غامضة في هولندا.

ـ إنهم دائماً يقولون ذلك ثم يثبت أن الرجل أكل علبة سردين فاسدة وأن الوفاة كانت طبيعية تماماً.

وكان بوارو يتكلم وهو يطل من النافذة.. ولم يلبث أن قال:

ـ إنني أرى في الشارع أمامي، ما يصفونه في القصص بـ (المرأة المقنعة).. إنها تخفي وجهها تحت نقاب أسود سميك.. ها هي تقترب من بابنا وتدق الجرس.. لا بد أنها تريد أن تستشيرنا في أمر.. ومن المحتمل جداً أن يكون أمراً مثيراً.. عندما تكون المرأة في مقتبل العمر وجميلة كهذه المرأة.. فإنها لا تضع على وجهها نقاباً إلا لسبب خطير..

وبعد لحظات كنا نستقبل الزائرة.. وكانت ـ كما قال بوارو ـ تضع على وجهها نقاباً كثيفاً يستحيل معه تبين قسمات وجهها.. ولكنها عندما رفعت النقاب أدركت كم كان بوارو على صواب.

وكانت على جانب عظيم من الجمال، لها شعر ذهبي

وعينان زرقاوان. وكانت ترتدي ثوباً تدل أناقته وبساطته ونوع نسيجه على أنها تنتمي إلى أرقى طبقة في المجتمع.

قالت بصوت موسيقي هادىء:

- مسيو بوارو. إنني في مأزق ولا أكاد أصدق أنك تستطيع مساعدتي. ولكن ما سمعته عنك قد حملني على الالتجاء إليك كآخر أمل لكي أرجوك أن تفعل المستحيل.

فقال بوارو:

- يسرني دائماً أن أفعل المستحيل.. أرجوك أن تمضي في حديثك يا آنسة.

فبدأ التردد على الزائرة الفاتنة.. واستطرد بوارو قائلاً:

- إنما يجب أن تكوني صريحة.. وألا تتركيني في الظلام فيما يختص بأي جانب من جوانب المشكلة.

فقالت الفتاة فجأة:

- سأضع كل ثقتي فيك يا مسيو بوارو. هل سمعت عن الليدي ميلسنت كاسل فوجان؟

وأثار هذا الاسم اهتمامي فقد قرأت ما نشر منذ بضعة أيام عن خطوبة الليدي ميلسنت إلى دوق ساوثشاير. وكنت أعلم أن الليدي هي الابنة الخامسة لأحد النبلاء الإيرلنديين وأن الدوق من أغنى وأعرق الأسر الإنجليزية.

قالت الزائرة:

- أنا الليدي ميلسنت، ولعلك قرأت نبأ خطوبتي.. وكان يجب أن أكون أسعد فتاة في الوجود. ولكنني أجد نفسي في مأزق رهيب يا مسيو بوارو. هناك رجل مخيف يدعى لافنجتون.. وهذا الرجل.. يا إلهي.. لست أعرف كيف أبدأ القصة.. هناك رسالة كتبتها.. حين كنت في السادسة عشرة من عمري، وكان هو..

- رسالة كتبتها لهذا المدعو لافنجتون؟

- كلا.. لم تكن له.. وإنما كانت لجندي شاب أحببته.. ولكنه قتل في الحرب.

- آه.. فهمت.

- كانت رسالة حمقاء.. أملاها الطيش.. ولم يكن بيني وبين ذلك الشاب ما أخجل منه.. ولكن بعض عبارات الرسالة يمكن تأويلها على غير معناها.

- وهل وقعت هذه الرسالة بين يدي مستر لافنجتون؟

- نعم.. وهو يهددني بإرسالها إلى الدوق ما لم أدفع له مبلغاً ضخماً.. مبلغاً يستحيل أن أحصل عليه.

فتمتمت قائلاً:

- يا له من وغد!!

وقال بوارو:

- أليس الأفضل أن تعترفي لخطيبك بكل شيء؟

ـ إنني لا أجسر على ذلك يا مسيو بوارو.. فالدوق شاب غيور.. سيء الظن.. والاعتراف له بقصة الرسالة.. سيكون بمثابة فسخ للخطوبة.

ـ هذا أمر يؤسف له.. وماذا تريدينني أن أفعل يا سيدتي الليدي؟

ـ لقد خطر لي أن أطلب إلى مستر لافنجتون أن يأتي لزيارتك باعتبارك وكيلاً عني في هذا الموضوع، فربما استطعت إقناعه بعدم المغالاة في مطالبه.

ـ وكم طلب؟

ـ طلب عشرين ألفاً من الجنيهات وهو مطلب مستحيل.. لأنني لا أستطيع الحصول على ألف واحد.

ـ في استطاعتك اقتراض المبلغ اعتماداً على زواجك المنتظر.. ولكن لا.. إن الرضوخ للابتزاز يثير نفوري واشمئزازي.. ولكن كوني مطمئنة يا سيدتي.. إن عبقرية بوارو سوف تدحر أعداءك.. ابعثي إلي بهذا المستر لافنجتون. هل تعتقدين أنه سيحضر الرسالة معه؟

ـ لا أظن.. إنه شديد الحذر.

ـ هل أنت واثقة من أن الرسالة في حوزته؟

ـ إنه أطلعني عليها عندما ذهبت إليه في بيته.

ـ ذهبت إلى بيته؟ هذه رعونة شديدة يا سيدتي.

ـ أحقاً؟ إنني كنت في أشد حالات اليأس. وقد رجوت أن تزحزحه توسلاتي عن موقفه.

ـ إن أمثال لافنجتون في هذه الدنيا لا تزحزحهم التوسلات.. ولا بد أن يكون ذهابك إلى بيته قد كشف له عن مدى اهتمامك بالرسالة. أين يقيم هذا الرجل؟

ـ في بونا فيستا بمنطقة ويمبلدون.. وقد ذهبت إليه بعد هبوط الظلام وقلت له أنني سأبلغ البوليس. فضحك ضحكة مقيتة وقال في سخرية: أرجوك أن تفعلي.

فقال بوارو:

ـ نعم.. ذلك ليس من اختصاص البوليس.

ـ ومضى لافنجتون في حديثه قال: إنني واثق من أنك أعقل من أن تفعلي ذلك، انظري.. ها هي رسالتك في هذا الصندوق الصغير.. ووضع الرسالة أمامي فحاولت أن أختطفها ولكنه كان أسرع مني.. فتناول الرسالة وطواها وأعادها إلى الصندوق وقال:

ـ أؤكد لك أنها ستكون بمأمن هنا.. ثم أنني أخفي الصندوق نفسه في مكان لا يمكن أن تصل إليه يد.

وعندما قال ذلك اتجه بصري إلى خزانة صغيرة في الجدار.. ولكنه هز رأسه وضحك وقال: إن لدي خزانة أفضل من هذه.. وكان مقيتاً إلى أقصى حد.

وصمتت الليدي الفاتنة قليلاً ثم قالت:

ـ هل تستطيع مساعدتي يا مسيو بوارو؟

ـ ثقي في (بابا) بوارو.. لا بد أن أجد وسيلة.. ورافق بوارو الزائرة إلى الباب الخارجي، ولما عاد قلت له:

ـ يخيل إلي أن المسألة ليست من السهولة كما صورتها زائرتنا الفاتنة.

ـ الواقع أنني لم أهتد بعد إلى حل.. إن السوط في يد لافنجتون.. ولا أعرف كيف سنتعامل معه.

زارنا لافنجتون بعد ظهر ذلك اليوم، وكانت الليدي ميلسنت على حق حين وصفته بأنه إنسان مقيت فلقد أحسست برغبة شديدة في أن أركله بقدمي وأقذف به خارج البيت.

كان وقحاً ومغروراً وقد سخر من كل اقتراحات بوارو وحاول أن يؤكد لنا أنه سيد الموقف، وفي النهاية تناول قبعته وقال وهو يهم بالانصراف:

ـ يبدو أننا لم نتقدم كثيراً أيها السادة.. ولكن نظراً لأن الليدي ميلسنت سيدة لطيفة، فإنني على استعداد لقبول ثمانية عشر ألفاً من الجنيهات، إن لدي عملاً في باريس وسأسافر إليها اليوم وأعود يوم الثلاثاء.. وإذا لم أتسلم المبلغ في مساء الثلاثاء، فسأبعث بالرسالة إلى الدوق.. لا تقل لي أن الليدي ميلسنت لا تستطيع إعداد المبلغ.. إن لها أصدقاء ومعجبين لا حصر لهم وامرأة فاتنة مثلها لن تعجز عن الحصول على قرض إذا أبدت بعض التساهل.

فهممت بالانقضاض عليه.. ولكنه كان قد استدار وهو يتحدث، ونطق بعبارته الأخيرة وهو بباب الغرفة.

صمت بوارو فقلت وأنا أتميز غيظاً:

ـ لا بد من عمل شيء يا بوارو.. إنك تواجه الموقف بخنوع واستسلام عجيبين!!

ـ إن لك قلباً طيباً يا صديقي ولكن خلايا مخك في حالة يرثى لها.. إنني لا أريد أن أبهر لافنجتون بقدراتي. وكلما ظنني خاملاً.. كان ذلك أفضل.

ـ لماذا؟

ـ من عجب أنني عبرت عن رغبتي في العمل ضد القانون قبل قدوم الليدي ميلسنت!!

ـ هل تنوي السطو على بيت لافنجتون في غيابه؟

ـ إن عقلك يعمل بسرعة مذهلة في بعض الأحيان يا هاستنجز.

ـ هب أنه يحتفظ بالرسالة في جيبه؟

فهز بوارو رأسه وأجاب:

ـ لا أظن ذلك، والأرجح أن لديه في بيته مخبأ يعتقد أن أحداً لا يستطيع الاهتداء إليه.

- ومتى سنبدأ فعلتنا.. المنكرة؟

- غداً.. ليلاً.. وستتحرك من هنا في الساعة الحادية عشرة.

وفي الموعد المحدد، كنت مستعداً وقد ارتديت ثوباً أسود وقبعة سوداء عريضة، فقال بوارو:

- إنك ارتديت الثوب الذي يناسب المهمة، هلم بنا.

- ألن نأخذ معنا بعض الأدوات اللازمة للعمل؟

- يا عزيزي هاستنجز.. إن هركيول بوارو لا يلجأ إلى الأساليب البدائية.

وكان الليل قد انتصف عندما وصلنا إلى ضاحية (بونا فيستا). وكان الظلام يخيم على بيت لافنجتون فقصد بوارو تواً إلى نافذة في الجانب الخلفي من البيت ودفعها في هدوء ففتحت على الفور دون أية جلبة، وأدهشني ذلك.

فسألته في همس:

- كيف عرفت أن هذه النافذة ستفتح بسهولة؟

- لأنني رفعت مزلاجها صباح اليوم.

- ماذا؟

- كانت المسألة في غاية البساطة.. حضرت صباح اليوم وقدمت بطاقة زائفة.. وبطاقة أخرى من بطاقات المفتش (جاب)، وقلت أنني جئت بتوصية من اسكتلنديارد لتركيب مزاليج للنوافذ تحول دون دخول اللصوص. فرحبت بي مدبرة البيت.. وقالت إن اللصوص اقتحموا البيت مرتين في المدة الأخيرة.

ويبدو أن الفكرة التي خطرت لنا، قد خطرت كذلك لآخرين من زبائن لافنجتون، ولكن لم يسرق من البيت شيء ذو قيمة. وبعد أن فحصت جميع النوافذ وعبثت بمزلاج هذه النافذة.. حذرت الخدم من الاقتراب من النوافذ قبل ٢٤ ساعة، لأنها جميعاً متصلة بالتيار الكهربائي.

- الحق أنك رجل عجيب يا بوارو.

- كانت المسألة غاية في البساطة كما قلت لك.. والآن.. هلم إلى العمل. إن الخدم ينامون في الطابق العلوي فلا خطر من أن نزعجهم أو يزعجونا..

- لا بد أن الخزانة موجودة داخل أحد الجدران.

- أية خزانة؟ إن لافنجتون رجل ذكي.. وسوف ترى أنه ابتكر مخبأ أفضل من الخزانة.. إن الخزانة هي أول شيء يبحث عنه الإنسان.

وبدأنا البحث بطريقة منظمة.. وقضينا بضع ساعات في تفتيش المنزل دون جدوى.

ورأيت سحب الغضب تتلبد في وجه بوارو، وسمعته يتمتم:

ـ هل يمكن أن يهزم هركيول بوارو؟ مستحيل.. فلنفكر في هدوء.. ولنستخدم خلايانا الرمادية الصغيرة..

وتريث قليلاً ثم تألقت عيناه فجأة وهتف:

ـ كم كنت مغفلاً!! هلم إلى المطبخ.

ـ المطبخ؟ ولكن ذلك مستحيل، ثم هناك الخدم.

ـ تماماً.. ذلك ما يقوله ٩٩ في المائة من الناس، ولهذا كان المطبخ هو المكان المثالي لإخفاء الأشياء التي يراد إخفاؤها.

وتبعته إلى المطبخ ورأيته يفتش الدواليب والأواني ويضع رأسه في الفرن ويدس يديه في وعاء الفحم فقلت له: لا يمكن أن يكون لافنجتون قد أخفى الرسالة في الفحم.

ـ لو عرفت كيف تستخدم عينيك، لرأيت أنني لا أبحث في الفحم..

والواقع أنه كان يفحص كتلاً من الخشب مكومة خلف وعاء الفحم، ولم يلبث أن هتف:

ـ هل معك مطواة يا هاستنجز؟

فأعطيته المطواة فأغمد نصلها في إحدى الكتل الخشبية فانشطرت الكتلة وظهر في وسطها تجويف.. ومن هذا التجويف، أخرج بوارو صندوقاً صغيراً فلم أتمالك من أن أهتف:

ـ أحسنت يا بوارو.

ـ مهلاً يا هاستنجز ولا ترفع صوتك.. هلم بنا ننصرف فقد بزغ الفجر.

ووضع الصندوق في جيبه، وغادرنا البيت من حيث دخلنا.. وسرنا مسرعين في الطريق إلى لندن..

قلت: يا له من مخبأ عجيب!! كان في استطاعة أي خادم أن يجعل من هذه الكتلة وقوداً للمدفأة..

ـ المدفأة في شهر يوليو يا هاستنجز؟ ثم إن هذه الكتلة كانت تحت كومة كبيرة من الكتل.. آه ها هي سيارة أجرة.

* * *

نال مني التعب والانفعال فاستغرقت في نوم عميق واستيقظت حول الظهر لأجد بوارو جالساً في قاعة الاستقبال يقرأ الرسالة التي وجدها في الصندوق الصغير.. وما أن رآني حتى ابتسم وقال وهو يلوح بالرسالة:

ـ كانت الليدي ميلسنت على حق.. فإن من المستحيل أن يغفر لها الدوق أنها كتبت هذه الرسالة التي تتضمن من عبارات الحب والوجد ما لم أقرأ له مثيلاً..

ـ ما كان ينبغي لك أن تقرأ هذه الرسالة الخاصة يا بوارو.

فأجاب بشيء من الجفاء:

ـ إن بوارو يعرف ما ينبغي عليه أن يفعله..

ـ كذلك لم يكن ينبغي أن تستخدم بطاقة المفتش (جاب) ذلك يخالف أصول اللعبة.

ـ إنني لم أكن ألعب يا هاستنجز.. وإنما كنت أقوم بتحقيق قضية.. آه.. هأنذا أسمع وقع أقدام على درج السلم لا بد أنها الليدي ميلسنت.

ودخلت عميلتنا الجميلة وعلى وجهها مسحة من القلق تحولت إلى سرور وبهجة حالما وقع بصرها على الرسالة والصندوق بين يدي بوارو.

ـ أنت رجل عجيب يا مسيو بوارو.. كيف فعلت ذلك؟

ـ بوسائل غير قانونية.. ولكن لافنجتون لن يشكونا.. هل هذه هي رسالتك؟

فألقت نظرة على الرسالة وقالت:

ـ نعم.. كيف أشكرك يا مسيو بوارو.. أنت رجل عجيب.. عجيب أين وجدتها؟

فأخبرها فقالت: ما أبرعك!!

ومدت يدها لتتناول الصندوق الصغير وقالت:

ـ سأحتفظ بهذا الصندوق أيضاً للذكرى.

ـ كنت أرجو يا سيدتي الليدي أن تسمحي لي بالاحتفاظ به.. للذكرى أيضاً.

ـ سأرسل لك في يوم زفافي هدية للذكرى أفضل من هذه.. وستجد أنني لا أنكر المعروف.

ـ إن تقديم خدمة لك.. هو شرف عظيم لي، وأهم عندي من أي مبلغ من المال تفكرين في إرساله إلي.. ولذلك أرجو السماح لي بالاحتفاظ بهذا الصندوق.

فقالت وهي تضحك:

ـ كلا يا مسيو بوارو.. إنني أريده.

ومدت يدها إلى الصندوق، ولكن بوارو أطبق عليه بكلتا يديه. وقال وفي صوته نبرة حادة:

ـ لا أظن ذلك؟

ـ ماذا تعني؟

ـ على كل حال.. أرجو أن تسمحي لي على الأقل باستخراج محتوياته الأخرى.. إن فراغ الصندوق، كما ترين، مقسم إلى قسمين.. القسم العلوي وبه الرسالة.. والقسم الآخر.. وهو القاع.

ودس يده في الصندوق.. ثم أخرجها وفتح قبضته.. فإذا بها أربع قطع ضخمة من الماس.

قال: سيقول لنا المفتش (جاب) الآن إن هذه الماسات هي التي سرقت من حانوت المجوهرات بشارع (بوند) منذ بضعة أيام.

ولشد ما كانت دهشتي حين رأيت المفتش (جاب) يخرج من غرفة نوم (بوارو)..

واستطرد بوارو في أدب موجهاً الحديث إلى الليدي ميلسنت:

- أعتقد أن المفتش (جاب) من أصدقائك القدامى...

فرمقته بنظرة تجمع بين الهلع والإعجاب والسخط وقالت:

- يا لك من شيطان!

فقال المفتش جاب يحدثها:

- انتهت اللعبة يا عزيزتي جرترود.. من كان يظن أننا سنتقابل بهذه السرعة؟ لقد قبضنا كذلك على شريكك الذي زار بوارو أمس متنحلاً اسم لافنجتون.. أما لافنجتون الحقيقي المعروف كذلك باسم (كوركر)، و(ريد)، فإني لا أعرف من أفراد عصابتك من قد أغمد خنجره في صدره منذ أيام أثناء وجوده في هولندا.. إنك ظننت أن المجوهرات معه.. أليس كذلك؟ ولكنها لم تكن معه.. لقد خدعكم جميعاً وأخفاها في بيته.. فأرسلت اثنين من أعوانك لتفتيش البيت، ولكنهما أخفقا.. وحينئذ لجأت إلى صديقي بوارو.. الذي ساعده الحظ ووجدها.

فقالت الليدي المزعومة:

- إنك تحب الكلام والثرثرة.. سأمضي معك في هدوء.. فهلم بنا.. ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنني أجدت القيام بدور سيدة من أرقى الطبقات.

وألجمتني المفاجأة فلم أقو على الكلام.. أما بوارو فإنه قال:

- نعم.. إنك أجدت القيام بدورك.. ولكنك أخطأت في الحذاء.. لقد دلتني ملاحظاتي على أن السيدة الإنجليزية الكريمة تهتم اهتماماً خاصاً بحذائها.. فهي ترتدي ثوباً قديماً رثاً.. ولكنها تحرص على أن يكون حذاؤها من النوع الأنيق الثمين.. وقد كان ثوبك أنيقاً غالي الثمن.. أما حذاؤك فكان من النوع الرخيص.

ولا أنكر أن هناك بعض الشبه بينك وبين الليدي ميلسنت، وعلى كل حال فإنه لم يكن منتظراً أن أكون أنا أو صديقي الكابتن هاستنجز قد رأينا الليدي ميلسنت الحقيقية خاصة وأنها لا تأتي إلى لندن إلا نادراً.

كانت هناك ثلاثة أشياء أثارت شكوكي.. وهي على التوالي: القناع الأسود، والحذاء، والقصة.

ولا بد أن تكون قصة الرسالة المزعومة معروفة لدى أفراد العصابة جميعاً أما موضوع كتلة الخشب فلم يكن يعرفه سوى لافنجتون..

وصمت بوارو قليلاً ثم التفت إلي وقال:

ـ أرجو ألا تخدش شعوري مرة أخرى يا هـاستنجز كما فعلت أمس حين قلت إن مجرمي انجلترا لا يعرفونني. . إنهم يعرفونني، وزيادة على ذلك يستخدمونني في المهام التي يفشلون في أدائها.

نجمة الغرب

كنت واقفاً أتطلع بكسل من إحدى نوافذ مسكن بوارو عندما صحت فجأة:

ـ يا له من أمر غريب.

وقال بوارو بهدوء:

ـ ما هو ذلك الأمر الغريب يا صديقي؟

ـ لك أن تستنتج بنفسك من الحقائق التالية يا بوارو.. سيدة شابة ترتدي ثياباً فاخرة على أحد أحدث موضة وتضع قبعة على رأسها وفراء ثمينة على كتفيها إنها تسير ببطء في الشارع متلفتة إلى البيوت التي تمر بها، ويلاحقها كظلها دون أن تفطن إلى ذلك ثلاثة رجال وسيدة في منتصف العمر، وقد انضم إليهم على التو صبي يشير إلى الشابة الحسناء وهو يتحدث إليهم! ترى أية مأساة تلك التي تجري الآن؟ هل تكون السيدة محتالة والرجال الذين يتبعونها من المخبرين الذين يعدون العدة للقبض عليها؟ أم يكون الرجال من المجرمين الذين يستعدون

للهجوم على الضحية البريئة؟ ماذا يقول المخبر العظيم تعليقاً على ذلك؟

وقال بوارو وهو يغادر مقعده:

ـ يختار المخبر العظيم كما هي العادة أبسط الطرق، سوف ينهض ليرى الوقائع بنفسه..

وانضم بوارو إليّ ليتطلع من النافذة، وسرعان ما انطلق يضحك في مرح وهو يقول:

ـ إنك تضفي كعادتك على الوقائع مسحة من الخيال. هذه مس ماري مارفيل النجمة السينمائية المشهورة، والذين يتبعونها ليسوا سوى حفنة من المعجبين الذين تعرفوا على شخصيتها! إنها مجرد ملاحظة عابرة يا صديقي المفتش هاستنجز، فالسيدة واعية تماماً لما يجري حولها!.

ضحكت وأنا أقول له:

ـ إذن فقد أوضحت المسألة برمتها ولكنك لا تستحق أي درجات على ذلك يا بوارو، فلم تكن المسألة أكثر من تعرّف على الشخصية.

ـ أحقاً؟ هل تتذكر كم مرة شاهدت ماري مارفيل على الشاشة يا صديقي العزيز!

فكرت قليلاً قبل أن أجيب بقولي:

ـ حوالي عشر مرات.

ـ أما أنا فلم أرها سوى مرة واحدة، ومع هذا فقد عرفتها ولم تعرفها أنت!.

وقلت بخجل:

ـ لقد تغير شكلها كثيراً.

وصاح بوارو قائلاً:

ـ يا لله! هل كنت تتوقع أن تراها تسير في شوارع لندن مرتدية قبعة رعاة البقر، أم تسير عارية القدمين وخصلات من شعرها تتدلى كالفتاة الضالة؟ هل تذكر قضية الراقصة فاليري سانتكلير؟

هززت كتفي في مرارة بينما أردف بوارو يقول:

ـ ولكن لا تحزن يا صديقي العزيز، فلا يستطيع كل الناس أن يصبحوا هركل بوارو! إنني أعرف ذلك جيداً.

وصحت في وجهه بصوت يتنازعه الضحك والضيق:

ـ إنك تمتدح نفسك في الواقع على وجه لم أره في إنسان غيرك.

وقال بوارو في زهو:

ـ وماذا كنت تفعل لو كنت مكاني، عندما يرى الإنسان نفسه فريداً في نوعه ويعي ذلك جيداً! وعندما يشاركه الآخرون الرأي حتى.. إذا لم أكن مخطئاً فإن المس ماري مارفيل..

وهنا سكت بوارو فقلت:

ـ ماذا كنت تنوي أن تقول؟

ـ إنها تقصدنا دون أدنى شك.

ـ وكيف استنتجت ذلك؟

ـ الأمر في غاية البساطة، ليس هذا الشارع أرستقراطياً يا صديقي العزيز! لا يوجد فيه طبيب مشهور أو عيادة أسنان حديثة، كما لا يوجد فيه بيوت أزياء، ولكن يوجد فيه مخبر على الموضة. نعم يا صديقي العزيز هذا صحيح. لقد أصبحت موضة.. الصيحة الأخيرة! إذا ضاعت حافظة أقلام من أحد الأشخاص قيل له اذهب إلى المخبر البلجيكي الصغير الحجم فهو رائع جداً! أسرع إليه! وأجدهم يتوافدون عليّ زرافات ووحداناً يا صديقي العزيز، بينما مشاكل بعضهم غاية في التفاهة!

دق جرس الباب وقال بوارو:

ـ هذه هي المس مارفيل.

كان بوارو صادق الحس كما هي العادة، ودخلت بعد لحظات النجمة الأميركية، وكانت بلا شك من أكثر نجوم السينما شعبية، وكانت الممثلة الأميركية قد وصلت إلى إنجلترا مؤخراً في صحبة زوجها جريجوري رولف وهو بدوره ممثل سينمائي وكان رواجهما قد تم منذ عام في الولايات المتحدة، وكانت هذه أول زيارة يقومان بها لإنجلترا وأعد لهما

استقبال ضخم، وكان الجمهور يتهافت على رؤية النجمة الأميركية ليرى بنفسه ملابسها الرائعة وفراءها ومجوهراتها، وبصفة خاصة ماسة كبيرة يطلق عليها نجمة الغرب.

وقد كتب الكثير عن تلك الماسة وقيل إنها مؤمن عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه.

مرت بخاطري كل هذه التفاصيل وأنا أنضم لبوارو في الترحيب بالزائرة الحسناء الرقيقة، وكانت المس مارفيل نحيلة رقيقة تبدو أقرب شبهاً بالبنات الصغيرات ذات عينين زرقاوين واسعتين فيهما براءة الطفولة، قدم لها بوارو مقعداً وبدأت حديثها على الفور قائلة:

ـ ربما فكرت يا مسيو بوارو أنني شديدة الحماقة ولكن اللورد كروتشو كان يحدثني في الليلة الماضية عن الطريقة الرائعة التي أمطت بها اللثام عن موت ابن عمه، ورأيت أن أطلب مشورتك في مشكلتي.. ربما تكون مشكلة تافهة ـ هكذا يصفها جريجوري ـ ولكنها تزعجني غاية الإزعاج.

سكتت الممثلة الأميركية برهة لتلتقط أنفاسها.

وقال بوارو في محاولة لاستدراجها للحديث.

ـ أكملي قصتك فإنني لا زلت في الظلام.

قالت وهي تفتح حقيبة يدها وتخرج منها ثلاثة خطابات سلمتها لبوارو:

- إنها هذه الخطابات.

فحص بوارو مظاريف الخطابات بعناية وهو يقول:

- إنها مكتوبة على ورق رخيص.. وقد كتب الاسم والعنوان على الآلة الكاتبة بعناية، فلنر ما بداخلها.

اقتربت من بوارو لألقي نظرة على الخطاب وكانت الرسالة عبارة عن جملة واحدة مكتوبة أيضاً على الآلة الكاتبة تقول:

«الماسة الكبيرة هي العين اليسرى للإله ويجب أن تعود من حيث جاءت».

ولم تخرج عبارات الخطاب الثاني عن المعنى السابق، إلا أن كلمات الخطاب الثالث كانت تقول:

- لقد حذرناك فلم تستجيبي.. الآن نقول إن الماسة سوف تؤخذ منك، وعندما يصبح القمر بدراً، سوف تنضم الماستان اللتان كانتا العينين اليمنى واليسرى للإله لتعودا إلى مكانهما.

وقالت مس مارفيل:

- اعتبرت الخطاب الأول مجرد مزاح، ولكنني بدأت أشعر بالدهشة عندما تلقيت الخطاب الثاني، وعندما تلقيت الخطاب الثالث بالأمس أدركت أن الأمر أخطر مما كنت أتصور.

وقال بوارو:

- من الواضح أن هذه الخطابات لم تصلك عن طريق البريد.

- كلا.. سلمها باليد رجل صيني وهذا ما يملؤني رعباً.

- لماذا؟

- لأن جريجوري اشترى تلك الماسة من رجل صيني في سان فرانسسكو منذ ثلاثة أعوام.

- أرى يا سيدتي أنك تعتقدين أن الماسة المقصودة هي..

سكت بوارو لتكمل الممثلة الحديث قائلة:

- نجمة الغرب.. هذا صحيح، ويذكر جريجوري أن ثمة أسطورة كانت مقرونة بتلك الماسة إلا أن البائع الصيني لم يرغب في الحديث عنها.. كانت الأسطورة تفزعه فزعاً مميتاً دفعه إلى الرغبة في التخلص من الماسة بعشر ثمنها. لقد كانت هذه الماسة هدية زواجي من جريجوري.

وقال بوارو وهو يهز رأسه مفكراً:

- تبدو القصة خيالية بعيدة عن التصديق ومع هذا فمن يدري؟ أرجوك يا هاستنجز أن تناولني مجلد (التقويم).

وعندما أمسك بوارو المجلد بين يديه قال وهو يقلب أوراقه:

- فلننظر متى يكون موعد اكتمال القمر بدراً.. آه.. إنه يوم الجمعة المقبل أي بعد ثلاثة أيام.. حسن يا سيدتي، أنت تريدين رأيي وإليك نصيحتي.. ربما كان الموضوع مجرد مزاح. وقد لا يكون الأمر كذلك، ولهذا أنصحك أن تعهدي

إلي بالمحافظة على الماسة إلى ما بعد يوم الجمعة وحينئذ نتخذ ما يحلو لنا من خطوات.

مرت سحابة خفيفة على وجه الممثلة ثم قالت:

ـ أخشى أن يكون ذلك ضرباً من المستحيل!

ـ إذن فأنت تريدين الاحتفاظ بها معك؟

ترددت الممثلة برهة ثم دست يدها في صدرها وأخرجت سلسلة رفيعة طويلة، ثم فتحت قبضة يدها لتبدو الماسة المتوهجة في راحة يدها مغلفة بإطار من البلاتين.

وهمس بوارو في إعجاب:

ـ مدهشة! هل تسمحين أن ألقي نظرة عليها؟

أمسك بوارو الماسة وأخذ يفركها بيده باهتمام ثم أعاد الماسة لصاحبتها وهو ينحني انحناءة خفيفة قائلاً:

ـ إنها ماسة رائعة وليس فيها خدش واحد، وأنت تغامرين بحمل هذا الكنز.

وقالت الممثلة:

كلا، كلا، يا مسيو بوارو.. إنني شديدة الحرص عليها في الواقع، وأنا في العادة أضعها في صندوق المجوهرات الذي أودعه في خزانة الفندق.. نحن نقيم في فندق ماجنيفسنت، ولقد أحضرتها معي اليوم لمجرد أن أعرضها عليك.

ـ وسوف تتركينها معي، أليس كذلك؟ هذا ما ينصحك به بابا بوارو.

ـ حسن يا مسيو بوارو.. ولكننا سوف نذهب إلى ياردلي تشيس يوم الجمعة القادم لنقضي بضعة أيام مع اللورد ياردلي وقرينته.

أثارت كلماتها تلك في رأسي عاصفة من الذكريات المبهمة، بعض الإشاعات التي سمعتها من قبل.. منذ بضعة سنوات قام اللورد والليدي ياردلي بزيارة للولايات المتحدة، وراجت الإشاعات حول مغامرات نسائية للورد ياردلي، ولكن الأمر المؤكد أن إشاعات أخرى ترددت عن علاقة الليدي ياردلي بأحد ممثلي السينما، وتذكرت القصة كلها في لحظة خاطفة، لقد كانت تلك العلاقة مع جريجوري رولف.

واستأنفت المس مارفيل حديثها قائلة:

ـ سأطلعك على سر يا مسيو بوارو.. سوف نبرم صفقة مع اللورد ياردلي، حيث نعد العدة الآن لالتقاط فيلم في الضيعة التي ورثها عن أجداده..

وصحت باهتمام:

ـ في ياردلي تشيس؟ إنها واحدة من أشهر الأماكن التي يقبل عليها الزوار في انجلترا..

هزت مس مارفيل رأسها مؤمنة وأردفت تقول:

ـ أعتقد أنها واحدة من مخلفات عهد الإقطاع، ولكن اللورد ياردلي يطلب أجراً باهظاً لقاء التقاط مناظر الفيلم في ممتلكاته ولا أدري في الواقع ما إذا كانت الصفقة سوف تتم، إلا أنني وجريجوري نتوق إلى إتمام الصفقة.

وقلت في تردد:

ـ ولكنك تستطيعين يا سيدتي زيارة ياردلي تشيس دون أن تأخذي الماسة معك؟

تبددت النظرات الطفولية من عيني الممثلة وبدت أكبر سناً، ثم قالت بعد برهة:

ـ ولكنني أريد أن ألبس السلسلة هنالك.

وقلت على الفور:

ـ توجد بكل تأكيد مجموعة ضخمة من المجوهرات النادرة لدى الليدي ياردلي، ومن بينها ماسة كبيرة.

ـ نعم.

وسمعت بوارو يهمس بين أنفاسه:

ـ آه.. إذن فهذا هو السبب!

ثم أردف بوارو يقول بصوت مرتفع:

ـ إذن فأنت ولا شك على معرفة سابقة بالليدي ياردلي أم لعله زوجك؟

ترددت المس مارفيل برهة قبل أن تجيب بقولها:

ـ عرفها جريجوري منذ ثلاث سنوات عندما كانت في زيارة لأميركا.. هل أتيح لأحدكما أن يقرأ مجلة «همسات المجتمع»؟

أجاب كلانا بالنفي، وأردفت الممثلة تقول:

ـ لقد وجهت هذا السؤال لأن العدد الصادر هذا الأسبوع يتضمن مقالاً عن الجواهر المشهورة، ومن المثير للدهشة حقاً أن..

أمسكت الممثلة عن إتمام حديثها، وذهبت إلى الجانب الآخر من الحجرة لأبحث عن عدد المجلة موضوع الحديث على منضدة صغيرة، وعندما عثرت عليها أخذتها الممثلة، وعندما وجدت المقال بدأت تقرأ بصوت مرتفع:

ويمكن أن يضاف إلى الأحجار الكريمة المشهورة.. نجمة الشرق.. وهي ماسة من بين المجموعة التي تقتنيها أسرة ياردلي. جاء بهذه الماسة أحد أسلاف اللورد ياردلي عند عودته من الصين، ويقال إن قصة خيالية تحوم حول الماسة وحسبما تروي هذه القصة إن تلك الماسة كانت العين اليمنى لتمثال أحد الألهة في معابد الصين القديمة، وإنه توجد ماسة مماثلة في الحجم واللون يقال إنها العين اليسرى للإله.. وتشير القصة إلى أن هاتين الماستين ستتعرضان للسرقة، وأن واحدة سوف تذهب إلى الشرق والأخرى إلى الغرب ثم يتاح

لهما أن تعودا إلى مكانهما الأول مرة أخرى حيث ينتصر الإله، ومن غريب المصادفات أنه توجد في الوقت الحاضر ماسة تنطبق عليها هذه الأوصاف يطلق عليها اسم «نجمة الغرب» أو «النجمة الغربية»، وهي في حوزة الممثلة السينمائية الشهيرة المس ماري مارفيل، ولعل المقارنة بين الماستين تكون أمراً مسلياً.

وقال بوارو:

ـ مدهش! لا شك أنها قصة خيالية من الدرجة الأولى. .

واستدار بوارو نحو الممثلة قائلاً:

ـ وأنت يا سيدتي ألا تخشين من التقاء الماستين في مكان واحد حتى لا يظهر أحد الصينيين ليختطفهما ويعيدهما إلى الصين؟

كان في لهجة بوارو بعض السخرية وإن كنت قد لمست فيها بعض الجد، وقالت الممثلة:

ـ لا أصدق أن ماسة الليدي ياردلي ترقى إلى مستوى ماستي، ومع هذا فسوف أذهب لأرى.

لم يكن في وسعي أن أخمن الكلمات التي كان بوارو يريد أن يضيفها، فقد فتح الباب في تلك اللحظة ودخل بطل القصة جريجوري رولف قائلاً:

ـ فكرت أن الحق بك يا ماري وهأنذا. . حسن، ما هو رأي

المسيو بوارو في مشكلتنا الصغيرة؟ ألا يرى مثلي أنها مجرد مزحة؟

افتر ثغر بوارو عن ابتسامة عريضة ثم قال:

ـ سواء كان الأمر مزاحاً أو جداً فقد نصحت زوجتك بألا تأخذ الماسة معها إلى ياردلي تشيس يوم الجمعة المقبل.

وقال رولف:

ـ أنا أشاركك نفس الرأي يا سيدي. . هذا ما قلته لماري ولكنها على ما أعتقد كسائر بنات جنسها تأبى أن ترى سيدة تتميز عليها في مجال المجوهرات.

وقالت ماري غاضبة:

ـ أي هراء هذا الذي تقول يا جريجوري!

هز بوارو كتفيه قائلاً:

ـ سيدتي! لقد أسديت إليك النصح وليس لدي ما أضيفه. .

انحنى بوارو لزائريه وهو يشيعهما إلى الباب، وعندما عاد إلي قال:

ـ آه. . يا للنساء. . ولكن الزوج الطيب عرف كيف يضرب على الوتر الحساس، ومع هذا فلم يكن موفقاً في أسلوبه! لم يكن موفقاً قط!

رويت لبوارو ما علق في ذاكرتي من معلومات مبهمة وهز رأسه مؤمناً وهو يقول:

ـ هذا ما فكرت فيه، ورغم هذا فيوجد شيء غامض وراء هذه القصة، سوف أخرج بعد إذنك يا صديقي العزيز في نزهة لأستنشق الهواء النقي.. أرجوك ألا تغادر المكان قبل عودتي فلن أتغيب طويلاً.

كنت نصف نائم على المقعد عندما طرقت صاحبة البيت الباب ثم أطلت برأسها قائلة:

ـ هناك سيدة أخرى ترغب في مقابلة المسيو بوارو، ورغم أنني أخبرتها أنه في الخارج، إلا أنها تصر على الانتظار لأنها قادمة من الريف.

ـ أوه.. دعيها تدخل يا مسز مارشيزون فربما كان باستطاعتي مساعدتها.

عندما دخلت السيدة بعد لحظات دق قلبي بعنف وقد تعرفت عليها، فقد كانت صور الليدي ياردلي تنشر بين الحين والحين في أخبار المجتمع وقلت لها:

ـ تفضلي بالجلوس يا ليدي ياردلي.. صديقي بوارو في الخارج ولكنني واثق من عودته خلال فترة قصيرة.

أعربت الليدي ياردلي عن شكرها أثناء جلوسها.. كانت طرازاً مختلفاً كل الاختلاف عن المس مارفيل، فقد كانت طويلة ذات عينين براقتين ووجه أرستقراطي شاحب حزين، وفكرت في أن أرتفع إلى مستوى الموقف، ولم لا؟ كنت أشعر

أثناء وجود بوارو ببعض المشقة وعدم القدرة على استعراض مواهبي، فمما لا شك فيه أنني أمتلك أيضاً القدرة على التحليل والاستنتاج، وقلت بهدوء:

ـ ليدي ياردلي.. إنني أعرف سبب مجيئك.. لقد تلقيت خطاب تهديد بشأن الماسة.

ففتحت الليدي ياردلي فمها من الدهشة وازداد شحوب وجهها وهي تقول بذعر:

ـ أنت تعرف؟ كيف؟

ـ عن طريق عملية استنتاج منطقي، فإذا كانت مس مارفيل قد تلقت خطابات تحذير.

وقاطعتني الليدي بقولها:

ـ أكانت المس مارفيل هنا؟

ـ نعم.. وقد غادرت المكان منذ قليل، وكما كنت أقول، إذا كانت صاحبة إحدى الماستين قد تلقت تهديداً، فمن الطبيعي أن تتلقى صاحبة الماسة الأخرى نفس خطابات التهديد، ألا ترين أن الأمر بسيط تماماً؟ هل أنا على حق في استنتاجي؟

ترددت الليدي لحظة وهي تفكر فيما إذا كانت تستطيع أن توليني ثقتها، ثم نكست رأسها في استسلام وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تقول:

- إن الأمر كما تقول. .

- هل سلمت إليك الخطابات باليد عن طريق رجل صيني؟

- كلا. . لقد وصلتني بالبريد، ولكن خبرني، هل مرت مس مارفيل بنفس التجربة؟

قصصت عليها ما لدي من معلومات وهي تنصت باهتمام بالغ ثم قالت:

- هذا يوضح الأمر. . خطاباتي إذن صورة من الخطابات التي وصلتها، صحيح أن الخطابات أرسلت لي عن طريق البريد ولكنها تحمل عطراً غريباً يوحي بالشرق. . ما معنى كل هذا؟

هززت رأسي قائلاً:

- هذا ما يجب أن نتوصل إليه، هل أحضرت الخطابات معك؟ ربما استطعنا أن نهتدي إلى شيء من أختام البريد على المظاريف.

- لسوء الحظ مزقت المظاريف، لا شك أنك تدرك أنني اعتبرت الموضوع مجرد مداعبة، أيمكن أن تكون هناك عصابة صينية تسعى في الواقع إلى استعادة الماستين؟ إن هذا يبدو أمراً بعيد الاحتمال.

استعرضنا الحقائق المرة بعد المرة دون أن نتمكن من التوصل إلى معرفة السر، ونهضت الليدي ياردلي وهي تقول:

- أعتقد أنني لا أجد في حاجة لانتظار المسيو بوارو، تستطيع أن تخبره بالقصة وشكراً لك يا مستر. .

وترددت الليدي برهة وهي تمد يدها لي فقلت:

- الكابتن هاستنجز. .

- آه بالطبع، كم أنا غبية. . أنت صديق لآل كافنديش، أليس كذلك؟ لقد كانت ماري كافنديش هي التي أرسلتني إلى المسيو بوارو.

عندما عاد صديقي من الخارج، وجدت متعة في أن أروي له تفاصيل ما حدث في غيابه، ووجه إلي بوارو العديد من الأسئلة ليحصل على مزيد من التفاصيل، واحتد علي أكثر من مرة مما أوحى إلي أنه كان شديد الاستياء لعدم حضوره لقاء الليدي ياردلي، وكان بوارو قد تعود على أن يهون من قدرتي، ومن ثم فقد داخله شعور بالغيرة لأن تصرفي كان سليماً وغير قابل للنقد، وأحسست بالزهو وحاولت أن أكبت هذه المشاعر حتى لا أثير أعصابه، وقال بوارو في النهاية:

- حسن. . إن العقدة تتضخم. . أرجوك أن تناولني ذلك المجلد الضخم الموضوع على الرف العلوي.

استغرق بوارو في تقليب صفحات المجلد حتى عثر على بغيته وقال: هذا هو ما نبحث عنه. . ياردلي. . اللورد العاشر. . اشترك في حرب جنوب أفريقيا. . كلا. . كلا. . لا أهمية لذلك تزوج في مارس ١٩٠٧ من الليدي مود ستوبرتون

الابنة الرابعة للبارون كوتريل الثالث.. النوادي.. مقار الإقامة.. آه.. هذه هي المعلومات المطلوبة وإن كانت لا تقدم الشيء الكثير، ولكننا سوف نذهب في الغد للالتقاء باللورد..

وقلت بدهشة:

- ماذا تقول؟

- نعم.. لقد أرسلت له برقية.

- ظننت أنك نفضت يديك من هذه القضية؟

- إنني لا أعمل لحساب المس مارفيل طالما أنها رفضت الاستماع لنصيحتي، إن ما أفعله الآن إرضاء لرغبتي الشخصية.. إرضاء لرغبتي الشخصية.. إرضاء لهركيول بوارو!

- ولمجرد إرضاء نزوتك ترسل بكل هدوء برقية للورد ياردلي؟ أظن أنه سوف يقابل ذلك بالارتياح..

- على العكس، فلو أنني استطعت أن أحافظ على ماسة أسرته فلا بد أن يكون شاكراً لي هذا الصنيع.

وسألته بلهفة:

- إذن فأنت تعتقد أن هناك فرصة حقيقية لسرقة الماسة؟

وأجاب بوارو بمنتهى الهدوء:

- هذا أمر شبه مؤكد.. كل الأدلة تشير إلى ذلك.

ومنعني بوارو بإشارة من يده حتى لا أسترسل في توجيه المزيد من الأسئلة ثم قال:

- والآن أرجوك.. دعنا من بلبلة الأفكار ولنر أين وضعت المجلد.. ألا ترى أنني أرتب كتبي في المكتبة بحسب أحجامها وقد أخطأت في إعادة المجلد إلى غير موضعه.. النظام والأسلوب يا هاستنجز.. ولقد نصحتك أكثر من مرة.

- تماماً..

ثم أعدت المجلد إلى مكانه الصحيح..

اتضح لي أن اللورد ياردلي شخصية مرحة، عالي الصوت، رياضي أحمر الوجه جذاب الشخصية، وقال اللورد ببشاشة:

- هذه مهمة غير عادية يا مسيو بوارو ولا يتبين فيها الرأس من القدمين، ويبدو أن زوجتي قد تلقت عدداً من الخطابات الغريبة وهو نفس الشيء الذي حدث للمس مارفيل، ما معنى كل هذا؟

فناوله بوارو نسخة من مجلة.. همسات المجتمع.. قائلاً:

- أريد أن أسأل أولاً يا سيدي اللورد عما إذا كانت المعلومات الواردة في هذا المقال صحيحة؟

قرأ اللورد المقال على عجل وأربد وجهه من الغضب ثم قال بحدة:

ـ مجرد هراء! لا توجد أي قصة تحوم حول الماسة. لقد جئت بها أصلاً من الهند ولا أعتقد أنني سمعت عن كل هذا الذي يقال عن الإله الصيني.

ـ ومع هذا فإن الماسة معروفة باسم.. نجمة الشرق.

وسأل اللورد باستياء:

ـ ولنفترض أن الأمر كذلك؟

ابتسم بوارو ابتسامة فاترة ولم يجب بشيء على السؤال ثم قال:

ـ كل ما أطلبه منك يا سيدي اللورد أن تترك المهمة بأسرها لي وأن تعمل بما أشير به دون أدنى تحفظ، في هذه الحالة ربما أمكن تجنب الكارثة.

ـ إذن فأنت تتوقع حدوث شيء بالفعل؟

ـ هل تفعل ما أنصح به؟

ـ بالطبع.. ولكن..

توقف اللورد عن الاسترسال في الحديث، وتابع بوارو حديثه قائلاً:

ـ حسن.. اسمح لي إذن أن أوجه لك بعض الأسئلة.. تلك الصفقة بشأن ياردلي تشيس، هل تم الاتفاق على تفاصيلها بينك وبين المستر رولف؟

ـ أوه.. هل حدثك بشأن تلك الصفقة؟ كلا لم يتم الاتفاق نهائياً.

وتردد اللورد برهة ثم أردف يقول:

ـ ربما استطعنا أن نصل إلى اتفاق.. لقد ارتكبت بضع حماقات في الآونة الأخيرة ووقعت في الدين يا مسيو بوارو، ولكنني آمل أن أرتب الأمور لأستعيد توازني.. إنني مولع بأطفالي وأود أن أعيش آمناً في ضيعتي، وقد عرض علي جريجوري رولف عرضاً ضخماً ـ يتيح لي أن أقف على قدمي مرة أخرى.. ربما لم أكن أميل إلى إبرام الصفقة فأنا أكره أن يمتلىء المكان بالمصورين والممثلين ـ ولكنني مع هذا مضطر إلى قبول العرض ما لم..

توقف اللورد عن الحديث فجأة، وقال بوارو بخبث:

ـ إذن فلديك مخرج آخر لإنقاذ الموقف؟ هل تسمح لي بأن أخمن؟ يتمثل الحل الآخر في بيع نجمة الشرق؟

فأومأ اللورد ياردلي برأسه مؤمناً وهو يقول:

ـ هذا صحيح.. لقد ظلت الماسة في حوزة الأسرة لبضعة أجيال ولكن الصعوبة تتمثل في عدم وجود المشتري لمثل هذه الماسة الثمينة. وقد كلفت بيوت الماس المتخصصة: هوفبرج وهاتون جاردن بالبحث عن المشتري المناسب وإذا لم يتم ذلك بسرعة ساء موقفي تماماً.

ـ سؤال أخير إذا سمحت.. أي الفكرتين تحبذ الليدي ياردلي؟

- أوه.. إنها تعارض فكرة بيع الماسة بشدة، أنت تعرف مشاعر النساء، ومن ثم فهي تميل إلى إبرام صفقة الفيلم.

قال بوارو بهدوء:

- إنني مقدر موقفها.

وسكت بوارو برهة ثم وقف فجأة قائلاً:

- هل ستعود إلى ياردلي تشيس على الفور؟ حسن.. لا تقل شيئاً لأي إنسان.. وبعد إذنك لك أن تتوقع حضورنا هذا المساء حيث نصل بعد الخامسة بقليل.

- حسن جداً ولكنني لا أرى..

وقاطعه بوارو فقال:

- لا تقلق يا سيدي اللورد.. ألا تريد مني أن أساعدك في المحافظة على الماسة؟

- نعم ولكن..

- إذن افعل ما أقوله..

وغادر اللورد الحجرة وعلى وجهه علامات القلق.

* * *

كان وصولنا إلى ياردلي تشيس في الخامسة والنصف، وقادنا الخادم إلى القاعة العتيقة حيث كانت النار مشتعلة في المدفأة، شاهدنا الليدي ياردلي مع طفليها، وكان من الواضح أن الأم شديدة التعلق بأطفالها، وكان اللورد ياردلي يقف

بالقرب منها ناظراً إلى طفليه بابتسامة حانية، وأعلن الخادم وصولنا قائلاً:

- المسيو بوارو والكابتن هاستنجز.

تطلعت إلينا الليدي ياردلي بفزع، وبدا التردد على اللورد الذي نظر إلى بوارو وكأنه ينتظر منه تعليمات، وكان المخبر الصغير الحجم مستعداً للموقف حيث قال:

- معذرة! إنني أحقق في ذلك الموضوع الخاص بالمس مارفيل، وهي قادمة لزيارتكم يوم الجمعة المقبل، أليس كذلك؟ إنني أقوم أولاً بجولة صغيرة لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام، كما أنني أرغب في سؤال الليدي ياردلي عما إذا كانت تذكر أي شيء عن خاتم البريد على مظاريف الخطابات التي تلقتها.

هزت الليدي ياردلي رأسها علامة النفي قائلة:

- للأسف لا أتذكر وربما كان ذلك غباء مني، ولكنني لم آخذ الأمر على محمل الجد.

وسأل اللورد ياردلي:

- هل ستقضيان الليلة هنا؟

فأجاب بوارو:

- لقد تركنا الحقائب في الحانة حتى لا نزعجك يا سيدي اللورد.

أجاب اللورد بحرارة:

- كلا.. كلا.. أؤكد لك.. سوف نبعث إلى الحانة من يحمل الحقائب.

لم يتردد بوارو في الجلوس بجوار الليدي ياردلي، وشرع يداعب الأطفال وسرعان ما اكتسب صداقتهم وجرني معه في اللعبة وقال بوارو لربة البيت:

- إنك أم ممتازة يا سيدتي.

وطلبت الليدي ياردلي من وصيفتها أن تصحب الأطفال إلى حجرتهم ثم أخذت تسوي خصلات شعرها النافرة وهي تقول:

- إنني أعبد أطفالي..

فقال بوارو وهو ينحني لها انحناءة بسيطة:

- وهم كذلك يبادلونك نفس المشاعر والحق معهم..

بعد لحظات دخل الخادم يحمل برقية سلمها للورد ياردلي، وعندما فرغ من تلاوتها كان يبدو عليه الانفعال بوضوح، ثم سلم البرقية لزوجته ونظر إلى بوارو قائلاً:

- لحظة واحدة يا مسيو بوارو. أحس بأنه يجب عليك أن تقف على حقيقة الأمر، جاءت هذه البرقية من هوفبرج ليخطرني بالعثور على راغب في شراء الماسة.. وهو أميركي سوف يبحر إلى الولايات المتحدة غداً، وسوف يرسلون واحداً

من رجالهم الليلة ليعاين الماسة.. يا إلهي، لو أن هذا الأمر تم..

خانته الكلمات فلم يستطع إكمال جملته، فقالت الليدي:

- أرجو ألا تبيعها يا جورج، لقد ظلت في حوزة الأسرة منذ زمن بعيد..

وسكتت الليدي برهة ثم استأذنت لتغيير ثيابها استعداداً للعشاء، وقالت لبوارو:

- أعتقد أنه من الأفضل أن أستعرض مجوهراتي.. لقد وعدني جورج بأن يعيد ترتيب الأحجار الكريمة في العقد الماسي ولكنه لم يف بوعده.

غادرت الليدي ياردلي الحجرة على الأثر، وبعد نصف ساعة كنا لا نزال في انتظارها للعشاء، وظهرت الليدي بالباب ترتدي ثوباً ناصع البياض وحول جيدها عقد تلمع ماساته في الضوء كجمرات من النار، وكانت الليدي تلمس بيدها العقد لمسة خفيفة فقالت بسعادة:

- انتظروا حتى أنير الأضواء لتمتعوا أعينكم بأروع عقد عرفته انجلترا..

وبينما كانت الليدي ياردلي تمد يدها لتضغط الزر حدث ما لم يتوقعه أحد، انطفأت الأنوار كلها فجأة وسمعنا صوت الباب يغلق بعنف وترامت إلينا من الخارج صرخة نسائية مدوية.

وصاح اللورد بانفعال:

- يا إلهي! هذا صوت مود! ما الذي حدث؟

اندفعنا دون تفكير نحو الباب ونحن نصطدم بعضنا ببعض في الظلام، ومضت بضع دقائق قبل أن نعثر على الليدي ياردلي ممددة على الأرض فاقدة الحراك وحول عنقها علامة قرمزية تخلفت عن اختطاف العقد بعنف، وبينما نحن نفكر فيما إذا كانت ميتة أم لا تزال على قيد الحياة فتحت الليدي ياردلي عينيها ببطء وهمست بصوت ضعيف:

- الرجل الصيني.. الرجل الصيني بالباب الجانبي.

قفز اللورد ياردلي نحو الباب الجانبي وهو يزمجر، وأنا أسير بجواره وقلبي يدق بعنف.. الرجل الصيني مرة أخرى! كان الباب الجانبي المقصود يقع على بعد بضع خطوات من المكان الذي وقعت عنده المأساة، وعندما وصلنا إلى الباب أطلقت على الرغم مني صيحة دهشة، فقد كان العقد الماسي ملقى على الأرض على بعد عشرة ياردات، وكان من الواضح أنه سقط من اللص أثناء فراره، ولكنني أطلقت صيحة دهشة أخرى عندما اكتشفت أن مكان نجمة الشرق في العقد خالٍ من الماسة الثمينة.

فقلت بضيق:

- هذا يفسر الأمر.. ليس اللص شخصاً عادياً لأن هذه الماسة كانت كل ما يبتغيه.

- ولكن كيف تمكن اللص من الدخول؟

- من خلال هذا الباب.

- ولكن الباب مغلق بصفة دائمة.

هززت رأسي نفياً وأنا أقول:

- ولكنه ليس مغلقاً الآن..

ودفعت الباب بيدي أثناء الكلام فانفتح، وحدث في نفس اللحظة أن سقطت قطعة صغيرة من قماش حريري مطرز على الأرض كانت معلقة بحافة الباب، وكان من الواضح أنها انتزعت من ثوب الرجل الصيني أثناء فراره.

فقلت أفسر الأمر:

- لقد اشتبك ثوبه بالباب خلال مسارعته بالهرب.. فلنسرع وراءه لأنه لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيراً عن المكان.

وبحثنا عن الجاني دون جدوى، فقد ساعده الظلام على التسلل من المكان، وأرسل اللورد أحد رجاله لإخطار الشرطة، بينما قام بوارو بالإسعافات الضرورية لليدي ياردلي، وكان بارعاً براعة السيدات في مثل هذه المهام وأفاقت الليدي ياردلي لتروي القصة فقالت:

- كنت على وشك أن أضيء النور الكبير في القاعة عندما هاجمني شخص من الخلف وانتزع العقد من عنقي بعنف طرحني على الأرض، بينما سارع بالفرار من الباب الجانبي،

وشاهدت الزي الذي يرتديه من الخلف وتأكد لي أنه رجل صيني.

توقفت الليدي ياردلي عن الحديث عندما دخل الخادم ليقول سوجهاً الحديث للورد:

ـ وصل مندوب من مؤسسة هوفبرج يا سيدي اللورد وهو يقول إنك تتوقع مجيئه.

وقال اللورد:

ـ يا رب السماوات! أعتقد أنه يجب علي أن أقابله.. لن أستقبله هنا يا مولنجز.. سوف أستقبله في المكتبة.

فانتحيت ببوارو جانباً وقلت له في همس:

ـ الا ترى يا صديقي العزيز أنه من الأفضل لنا أن نعود إلى لندن؟

ـ هل تعتقد ذلك يا هاستنجز؟ لماذا؟

فقلت وأنا أسعل:

ـ حسن.. لم تجر الأمور وفق ما نشتهي.. أليس كذلك؟ أعني.. طلبت من اللورد أن يكون تحت تصرفك حتى لا يحدث مكروه ثم حدث أن اختفت الماسة تحت سمعك وبصرك.

فقال بوارو في أسى واضح:

ـ هذا صحيح.. لم يكن هذا واحداً من انتصاراتي الضخمة.

فابتسمت للطريقة التي يصور بها بوارو الموقف ومضيت في خطتي للتشفي منه فقلت:

ـ هكذا.. والتمس لي العذر إذا خانني التعبير ـ تكون قد قلبت الأمور رأساً على عقب، وقد يكون من الأكرم لنا أن ننسحب من المكان على الفور.

ـ وماذا بشأن العشاء الفاخر الذي أعده لنا اللورد ياردلي؟

فقلت بنفاذ صبر:

ـ أوه.. أي عشاء!

ـ يا إلهي.. هل تريد أن تتصرف في هذه البلاد بعقلية المحقق الذي لا يكترث بقواعد اللياقة!

فقلت بنفس اللهجة:

ـ ربما كان هنالك سبب آخر يدعونا إلى العودة إلى لندن بأسرع ما يمكن..

ـ وما هو ذاك السبب يا صديقي؟

ـ الماسة الأخرى لدى المس مارفيل.

ـ حسن.. ماذا بشأنها؟

ولاحظت عدم اكتراثه فقلت في شيء من الحدة.

- ألا تدرك أبعاد الموقف؟ إذا كان اللصوص قد استولوا على إحدى الماستين فلا بد أن يسعوا إلى الأخرى.

تراجع بوارو خطوة إلى الخلف وهو ينظر إليّ بإعجاب وقال:

- حقاً! إن عقلك يعمل بطريقة رائعة يا صديقي! تصور أن ذلك لم يخطر ببالي قط.. ولكن لا يزال لدينا متسع من الوقت، لن يكتمل القمر قبل يوم الجمعة.

هززت رأسي بعصبية وأنا أفكر في نظرية اكتمال القمر لعدم اقتناعي بها، واستطعت في النهاية أن أقنع بوارو بوجهة نظري، وغادرنا المكان بعد أن تركنا كلمة اعتذار رقيقة للورد ياردلي.

كانت فكرتي أن نتوجه رأساً إلى فندق ماجنيفسنت وأن ننبه مس مارفيل لما حدث.. ولكن بوارو عارض الفكرة وأصر على أن ننتظر إلى الصباح، ولكنني رأيته في الصباح على نفس الدرجة من عدم الاكتراث وأوحى إلي ذلك أن الخطأ الذي ارتكبه دفعه إلى ترك القضية برمتها، ورداً على استفساراتي كان رأيه منطقياً ومقنعاً. فلم نكن في حاجة إلى الالتقاء بالممثلة وقد نشرت صحف الصباح قصة اختفاء.. نجمة الشرق..

أثبتت الأحداث أن شكوكي كانت في موضعها، فقد رن

جرس التليفون في حوالي الساعة الثانية وأجاب بوارو على المتحدث بقوله: حسن.. سوف آتي حالاً..

ونظر إلى بوارو في خجل وهو يقول:

- ما رأيك يا صديقي العزيز؟ ماسة المس مارفيل قد تعرضت للسرقة أيضاً!

وصحت وأنا أقفز من مكاني:

- ماذا تقول؟ وما رأيك الآن في نظرية اكتمال القمر..

فنكس بوارو رأسه ولم يجب، وتابعت حديثي قائلاً:

- ومتى حدثت السرقة؟

- هذا الصباح على ما فهمت.

هززت رأسي معبراً عن الأسى ثم قلت له:

- لو أنك استمعت إليّ.. ها أنت ترى أنني كنت محقاً.

وقال بوارو بحذر:

- هكذا يبدو الأمر يا صديقي.. المظاهر خداعة كما يقولون..

استأجرنا إحدى سيارات الأجرة وتوجهنا إلى الفندق الذي تنزل به المس مارفيل، وقلت أثناء الرحلة:

- كانت فكرة اكتمال القمر خطة ذكية حتى نركز على يوم الجمعة، من المؤسف أنك لم تتنبه إلى ذلك.

وقال بوارو ببساطة:

- للأسف.. لا يستطيع الإنسان أن يفكر في كل شيء.

وقلت له برقة لأواسيه:

- لا تبتئس.. أتمنى لك حظاً أوفر في المرة القادمة.

استقبلنا مدير الفندق في مكتبه، وكان معه جريجوري رولف واثنان من رجال سكوتلانديارد، وكان يجلس في مواجهتهم كاتب الفندق، وهز لنا رولف رأسه محيياً ثم قال:

- إننا وصلنا إلى قمة المأساة ولكن ما حدث غريب حقاً.. لا أستطيع أن أتخيل كيف استطاع اللص أن يتحكم في أعصابه بتلك الدرجة من البرود.

وكانت بضعة دقائق كافية لكي نقف على حقيقة ما حدث.. غادر المستر رولف الفندق في الساعة الحادية عشرة والربع، وفي الحادية عشرة والنصف وصل إلى الفندق رجل شديد الشبه برولف وطلب من الكاتب صندوق المجوهرات، ووقع على إيصال الاستلام الذي سلمه له الكاتب قائلاً إن التوقيع مختلف بعض الشيء عن توقيعاته بسبب إصابة يده أثناء نزوله من التاكسي، ولكن الكاتب ابتسم قائلاً إنه لا يوجد فارق ملموس، ورد عليه الرجل ضاحكاً بقوله:

- حسن.. لا تنظر إلي هذه المرة على الأقل كواحد من المحتالين، فقد تلقيت بعض خطابات التهديد من رجل

صيني، وأسوأ ما في الأمر أنني أشبه الصينيين بالفعل - إنه أمر يتعلق بشكل عيني.

وقال الكاتب الذي كان يروي لنا القصة:

- نظرت إلى وجهه وأدركت على الفور المعنى الذي يقصده.. فقد كانت العينان مسحوبتين من الجانبين مثل رجال الشرق، ولم أفطن إلى ذلك من قبل.

وصاح رولف وهو يقترب بوجهه من الكاتب:

- وهل تلاحظ ذلك الآن؟

حملق الكاتب في وجهه برهة ثم قال:

- كلا يا سيدي.. إنني لا أجد ذلك الشبه الآن.

وعلق رجل سكوتلانديارد على ذلك بقوله:

- منتهى الجرأة، فقد تخيل أن العينين يمكن أن تكونا وسيلة للتعرف عليه فأبدى تلك الملاحظة ليبدد أي شك يمكن أن يخطر على البال.. لا بد أنه كان يراقبك ورآك تغادر الفندق وتسلل إليه بمجرد ابتعادك..

وسألت:

- وماذا بشأن صندوق المجوهرات؟

- عثرنا عليه في ردهة الفندق وكانت المجوهرات كلها موجودة عدا.. نجمة الغرب.

حدق كل منا في الآخر، فقد كانت المسألة كلها غامضة

تماماً وتبدو أقرب إلى الخيال، وهب بوارو واقفاً ثم قال معتذراً:

ـ لم أستطع أن أقدم كثيراً من العون.. هل تسمح لي بمقابلة مس مارفيل؟

ـ أخشى أن تكون الصدمة قد أثرت عليها.

ـ في هذه الحالة أرجو أن تسمح لي ببضع كلمات على انفراد يا مستر رولف.

ـ بالتأكيد.

وعاد بوارو بعد حوالى خمس دقائق وقال بمرح:

ـ والآن إلى مكتب البريد يا صديقي لأرسل برقية..

ـ لمن البرقية؟

ـ للورد ياردلي.. تعال معي يا صديقي.. أنا أعرف مشاعرك إزاء هذا الموقف التعس.. لم أستطع أن أفعل شيئاً ولو أنك تعهدت بهذه المسألة فربما حالفك التوفيق الذي خانني هذه المرة.. إنني أعترف بخطئي ولننسَ الموضوع الآن ولنفكر في الغذاء..

كانت الساعة الرابعة عندما ذهبنا إلى مكتب بوارو.

وكان اللورد ياردلي جالساً في انتظارنا وكان يبدو عليه الضيق فقال بمرارة:

ـ جئت بمجرد أن تلقيت برقيتك.. ولقد توجهت إلى

مؤسسة هوفبرج حيث علمت أنهم لم يرسلوا واحداً من رجالهم بالأمس، كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن البرقية.. هل تعتقد..

رفع بوارو يده قائلاً:

ـ أقدم لك اعتذاري.. أنا الذي أرسلت لك البرقية واستأجرت الرجل.

وقال اللورد بدهشة:

ـ أنت؟ لماذا؟

ـ كانت فكرتي أن أدفع الأمور إلى الحركة.

ـ تدفعها إلى الحركة؟ يا إلهي!

ـ وقال بوارو وعلى وجهه إمارات السعادة:

ـ وقد نجحت خطتي تماماً يا سيدي اللورد.. لهذا فإنه يسعدني أن أقدم لك هذه الهدية.

فتح بوارو قبضة يده لتبدو فيها ماسة متلألئة.

وصاح اللورد ياردلي بانفعال:

ـ نجمة الشرق.. ولكنني لا أفهم..

وأجابه بوارو باسماً:

ـ كلا؟ لا أهمية لذلك.. صدقني، كان ينبغي للماسة أن تسرق، ولقد وعدتك بالمحافظة عليها وقد بررت بوعدي، وأرجوك أن تسمح لي بالاحتفاظ بالسر، وأن تبلغ الليدي ياردلي أطيب تمنياتي، وسعادتي الغامرة إذ تمكنت من إعادة

الماسة إليها.. طاب يومك يا سيدي اللورد.

شيع المخبر الصغير الحجم ضيفه إلى الباب باسماً ثم عاد وهو يفرك يديه في سرور وقلت له:

- بوارو.. هل تراني فقدت صوابي؟

- كلا؟ يا صديقي العزيز ولكنك كعادتك في حالة ضباب ذهني!

- كيف استعدت الماسة.

- من المستر رولف.

- رولف؟

- نعم يا صديقي! لم تكن خطابات التحذير والرجل الصيني والمقال المنشور في مجلة.. همسات المجتمع.. سوى أساطير من نسج خيال الممثل العبقري! أما موضوع الماستين المتماثلتين فهي كذلك خرافة.. لم تكن هنالك سوى ماسة واحدة يا صديقي كانت في الأصل ضمن مقتنيات أسرة ياردلي. وظلت طوال السنوات الثلاث الأخيرة في حيازة المستر رولف - ولقد تمكن من سرقتها صباح اليوم ببضع لمسات من المكياج لعينيه! آه.. يجب أن أشاهده في واحد من أفلامه لأنه فنان بحق..

- ولكن لماذا يسرق ماسته؟

- لأسباب عديدة أولها أن الليدي ياردلي بدأت تشاكسه.

وقلت بدهشة:

- الليدي ياردلي؟

- لعلك تدرك أنها بقيت وحيدة في كاليفورنيا، بينما كان زوجها يستمتع بحياته في مكان آخر، وكان المستر رولف وسيماً، ولكنه في أعماقه رجل عملي عندما طارح الليدي ياردلي الغرام استطاع أن يحتفظ ببضعة خطابات كانت قد أرسلتها له ليهددها بها.. لقد ضيقت الخناق على الليدي ياردلي في الليلة الماضية، واعترفت لي بالحقيقة، ولكنها أقسمت لي أنها لم تخن زوجها وإن كانت عرضت نفسها لاستغلال رولف، وخوفاً من الطلاق والحرمان من أطفالها استجابت لرغباته، ولما كانت لا تمتلك مالاً فقد سلمت لرولف الماسة التي أعطاها بدلاً منها ماسة مزيفة.. وقد لفت نظري ظهور.. نجمة الغرب.. المزعومة وسار كل شيء على ما يرام.. وأراد اللورد ياردلي أن يسوي ديونه، وخشيت الليدي ياردلي أن يؤدي عرض الماسة للبيع إلى اكتشاف الحقيقة فكتبت لجريجوري رولف الذي كان قد وصل لتوه إلى انجلترا، ووعدها رولف بتسوية الموقف، وأعد العدة لسرقة مزدوجة، وبهذه الطريقة ضمن تهدئة الليدي التي كان يمكن أن تعترف لزوجها بكل شيء، وهذا يتعارض مع مصلحة الرجل الذي يهددها، فضلاً عن أن السرقة تتيح له أن يحصل على خمسين ألف جنيه هي قيمة التأمين على الماسة الثمينة بالإضافة إلى أنه سوف يحتفظ بالماسة نفسها.

عندما وصلت الأمور إلى هذا الحد بدأت أتدخل، أعلنت عن وصول خبير في الماس، وكما توقعت دبرت الليدي ياردلي على الفور فكرة السطو على الماسة، وقد نفذت فكرتها بإحكام! ولكن بوارو لا يرى سوى الحقائق، ماذا حدث في الواقع؟ تمد الليدي يدها لتطفىء النور وتغلق الباب وتلقي العقد في الممر ثم تطلق صرخة مدوية، وكانت قبل ذلك قد نزعت الماسة المزيفة من مكانها في العقد.

واعترضت على ذلك قائلاً:

ـ ولكننا شاهدنا العقد ملتفاً حول عنقها.

ـ أستميحك العذر يا صديقي.. كانت راحة يدها تغطي مكان الماسة المنزوعة من العقد.. أما قطعة الحرير المنزوعة من ثوب الرجل الصيني والتي وضعت هناك سلفاً، فقد كانت لعبة طفل! وبالطبع رتب رولف الأمور بمجرد أن سمع عن سرقة الماسة، وقدم ملهاته الصغيرة.. ولقد أدى دوره بإتقان.

وسألته بفضول:

ـ ماذا قلت له لتسترد الماسة؟

ـ قلت له إن الليدي ياردلي اعترفت لزوجها بكل شيء، وإن الزوج عهد إلي باستعادة الماسة، وإذا لم تسلم لي في الحال، فعلي أن أبدأ في اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة، فضلاً عن أنني رويت له بضع أكاذيب أخرى صغيرة خطرت

على بالي في التو واللحظة، وأصبح رولف كقطعة من العجين بين أصابعي!

وأمعنت النظر في الموقف ثم قلت لبوارو:

ـ يبدو أنك بهذا قد تجنيت على ماري مارفيل، فقد فقدت ماستها دون خطأ من جانبها.

وأجاب بوارو بحدة:

ـ لا.. لقد حصلت على دعاية ضخمة، وهذا كل ما يعني ممثلة سينمائية.. أما السيدة الأخرى فموقفها مختلف تماماً.. إنها أم وسيدة طيبة!

وقلت رغم عدم اقتناعي بوجهة نظر بوارو:

ـ نعم.. أعتقد أن رولف هو الذي أرسل لها الخطابات.

وقال بوارو بسرعة:

ـ كلا.. بالمرة.. إنها لم تتسلم أية خطابات.. لقد جاءت إليَّ بناء على نصيحة من ماري كافنديش لكي أساعدها على الخروج من مأزقها.. ولما علمت منك أن ماري مارفيل، التي تعرف أنها عدوتها، قد جاءت أيضاً لزيارتي، عدلت عن فكرتها، وتذرعت بالعبارات والتفاصيل التي ذكرتها أنت لها. وقد استطعت بتوجيه بعض الأسئلة أن أعرف أنك أنت الذي أخبرتها بقصة الخطابات، ولم تكن هي التي أخبرتك بها. إنها انتهزت الفرصة التي هيأتها أنت لها، وتعلقت بطوق النجاة الذي ألقيت به إليها.

فقلت مدافعاً عن نفسي:

- أنا لا أصدق ذلك.

- بل نعم نعم يا صديقي العزيز.. من المؤسف حقاً أنك لا تدرس علم النفس، ألم تخبرك أنها مزقت الخطابات؟ هذا ما لا يمكن أن يحدث قط، لأن المرأة لا تتخلص من أي خطاب، حتى ولو كانت الحكمة تقضي بذلك!

وقلت وقد تصاعد غضبي:

- حسن جداً.. ولكنك جعلت مني أضحوكة من البداية حتى النهاية! من السهل أن تفسر كل شيء بعد أن يقضى الأمر، ولكنك تجاوزت معي كل حد معقول!

وقال بوارو باسماً:

- ولكنك كنت تستمتع بوقتك يا صديقي ولم يطاوعني قلبي على أن أفسد عليك نظرياتك!

- لقد كنت قاسياً علي أكثر مما ينبغي هذه المرة.

- يا إلهي! ولكن لماذا تثير أعصابك هكذا دون مسوغ يا صديقي؟

- لقد طفح الكيل!

قلت ذلك وأنا أصفق الباب ورائي بعنف، لقد سخر بوارو مني طوال الوقت.. وكان خليقاً بأن ألقنه درساً قاسياً، ولا بد من أن أدع فترة طويلة من الوقت تمر قبل أن أصفح عنه.